فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اسئلة من جاوه ﴾

(س ١٣ — ١٦) من صاحب الامضاء في مالاغ (جاوه)

نؤمل من فضلكم متع الله الوجود بوجودكم وأفاض من بحر علومكم وجودكم أن تفيدونا عن حكم الله ورسوله في نكاح الرجل المسلم المرأة غير المسلمة هل يجوز أم لا اذا وعدته باسلامها بعد عقد النكاح كما هو جار عندنا لاسيما من الصينيات فهل يجوز له الهجوم على نكاحها وهي على دين قومها أملا في إسلامها بعدو هل تستثنى من غير المسلمات الكتابيات ومن هن الكتابيات فهل الافرنج اليوم على اختلاف مذاهبهم في النصرانية وعقائدهم وتبديلهم يعدون كتابيين؟ تفضلوا ياسيدي افيدونا بحكم الله تعالى في هذه المسألة فهي وان كانت واضحة لديكم فهي لدينا من المعضلات فلا تهملوها واخوتها لوضوحها لديكم ولعله قد سبق كلام فيها فالمأمول الاعادة لتم الافادة فنحن في قلق حتى يفد الينا جوابكم الشريف لأن السؤال من الوقائع الحالية عندنا اه

ونسألكم أيضا أطال الله بقاكم عن اجماع علماء الهيئة في هذا العصر على كروية الارض ودورانها حول نفسها وغيرها إني ياسيدي لم أكد أفهم التوفيق بين هذا الاجماع

و بين قول الله سبحانه في قصة ذي القرنين «حتى اذا بلغ مغرب الشمس ـ و ـ حتى اذا بلغ مطلع الشمس» وأين يكون المطلع والمغرب اذا كان هناك للأرض كروية ودوران؟ واذا قلنا ان المطلع والمغرب هنا بحسب مرأى العين لنا فما يثلج الصدر بهذا لأن المطلع اذا كان بنسبة مرأى العين لنا فهو بالنسبة لقوم آخرين هناك يسمى مغربا وكذلك المغرب كيف هذا والاخبار للعموم من غير نسبة لقوم دون آخرين وكروية الارض أظنها تمنع ان يكون للشمس مطلع أو مغرب في محل مخصوص تفضلوا بينوا الابكم المخرج من هذا الاشكال لأني ياسيدي لسوء فهمي وسقم قريحتي حاولت التوفيق بينهما بنفسي ولم أظفر به وكثيرا ما حصل الخوض بين جماعة عندنا في هذه المسئلة وما استطاعوا الخروج من ربقة الاشكال وكلهم أشاروا على الحقير برفع هذا السؤال لحضرتكم والمأمول ان تجبروا خاطرنا بالافادة متع الله بكم آمين اه

ونسألكم لازلتم سراجا للمهتدين عن الحضور في معرض ادارة الصور المتحركة للتفرج عليها هل هناك في الشرع الشريف مايحظر علينا ذلك تفضلوا بينوا لنا حكم الله سبحانه فان عثرتم على مايعذرنا بين يدي الباري جل وعز في حضورها بينوه لنا وما الاصل فيها التحريم أم الحل بينوا الجميع لنا على صفحات ناركم اه

ونسألكم لا برحتم ملجأ لحل المعضلات في الخبر المبلغ بواسطة البرق هل يعتبر به عندنا في الشرع كالصلاة على الغائب المبلغ خبره بواسطة البرق ومايترتب على ذلك في الأمور الشرعية كالهلال في الصوم أو الافطار هل يجوز الاخذ بذلك تفضلوا وضحوا لنا الجميع ولكم من الله جزيل الاجر ودمتم　　محمد بن هاشم بن طاهر

﴿ أجوبة المنار ﴾

زواج المسلم بغير المسلمة وهل الاوربيون نصارى

ذهب بعض السلف الى انه لايجوز للمسلم ان يتزوج بغير المسلمة مطلقا ولكن الجمهور من السلف والخلف على حل الزواج بالكتابية وحرمة الزواج بالمشركة ويريدون من الكتابية اليهودية والنصرانية واحل بعضهم المجوسية أيضا و بالمشركة

الوثنية مطلقا بل عدوا جميع الناس وثنيين ماعدا اليهود والنصارى ومن الناس من قال أنهم من المشركين ولكن التحقيق انهم لا يطلق عليهم لقب المشركين لأن القرآن عند ما يذكر أهل الاديان يعد المشركين أو الذين أشركوا صنفا وأهل الكتاب صنفا آخر بعطف احدهما على الآخر والعطف يقتضي المغايرة كما هو مقرر ، وكذا المجوس في قول وسيأتي بيان ذلك

والذي كان يتبادر الى الذهن من مفهوم لفظ المشركين في عصر التنزيل مشركو العرب اذ لم يكن لهم كتاب ولا شبهة كتاب بل كانوا أميين

والأصل في الخلاف في المسألة آيتان في القرآن إحداهما في سورة البقرة وهي قوله تعالى (٢:٢٢١ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ) الآية . والثانية في المائدة وهي قوله عز وجل (٥:٥ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وقد زعم من حرم التزوج بالكتابيات ان هذه الآية منسوخة بتلك وردوه بأن سورة المائدة نزلت بعد سورة البقرة وليس فيها منسوخ فان فرضنا ان أهل الكتاب يدخلون في عداد المشركين يجب ان تكون آية المائدة مخصصة لآية البقرة مستثنية أهل الكتاب من عمومها والا فهي نص مستقل في جواز التزوج بنسائهم

وقد سكت القرآن عن النص الصريح في حكم التزوج بغير المشركات والكتابيات من أهل الملل الذين لهم كتاب أو شبهة كتاب كالمجوس والصابئين ومثلهم البوذيون والبراهمة واتباع كونفوشيوس في الصين وقد علمت ان علماءنا الذين حرص بعضهم على إدخال أهل الكتاب في عداد المشركين لا يترددون في إدخال هؤلاء كلهم في عموم المشركين وان ورد في الكتاب والسنة ماهو صريح في التفرقة والمغايرة . فكما غاير القرآن بين المشركين وأهل الكتاب خاصة في مثل قوله (٩٨ : ١ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) وقوله (٣:١٨٦ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) وذكر أهل الكتاب بقسميهم في معرض المغايرة في قوله (٥ : ٨٢ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) الآية كذلك ذكر الصابئين والمجوس وعدم صنفين غير أهل الكتاب والمشركين والمسلمين فقال في سورة الحج (٢٢ : ١٧ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) فهذا العطف في مقام تعداد أهل الملل يقتضي ان يكون كل من الصابئين والمجوس طائفتين مستقلتين ليسوا من الصنف الذي يعبر عنه الكتاب بالمشركين و بالذين أشركوا . وذلك ان كلا من الصابئين والمجوس عندهم كتب يعتقدون انهما إلهية ولكن بعد العهد وطول الزمان جعل أصلها مجهولا لنا ولا يبعد أن يكون من جاؤا بها من المرسلين لأن الله تعالى يقول (٣٥ : ٢٤ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير) وقال (١٣ : ٧ إنما انت منذر ولكل قوم هاد) وإنما قويت فيهم الوثنية لبعد العهد بأنبيائهم على القاعدة المفهومة من قوله تعالى (٥٧ : ١٧ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومعلوم أن فسق الكثير من أهل الكتاب عن هداية كتبهم ودخول نزغات الوثنية والشرك عليهم لم يسلبهم امتيازهم في كتاب الله على المشركين وعدهم صنفا آخر كما ان فسق الكثيرين من المسلمين عن هداية القرآن ودخول نزغات الوثنية في عقائدهم لا يخرجهم من الصنف الذين يطلق عليه لفظ المسلمين ولفظ المؤمنين وإن كانوا هم الذين يعنيهم الخطباء على المنابر بقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه » و يطبق العلماء عليهم حديث الصحيحين « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » قالوا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال « فمن » و بهذا يرد قول من حاولوا ادخال أهل الكتاب في المشركين وتحريم التزوج بنسائهم مستدلين بقوله تعالى بعد ذكر اتخاذهم احبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله (٩ : ٣١ سبحانه وتعالى عما يشركون) فان إطلاق اللقب على صنف من أصناف الناس لا يقتضي مشاركة صنف آخر له فيه إن أسند اليه مثل فعله كما بيناه في تفسير آية (٢ : ٢٢١ ولا تنكحوا المشركات) لا سيما اذا كان الفعل الذي أسند الى الصنف الآخر ليس

هو اخص صفاته وليس عاماشاملا لافراده كاتخاذ أهل الكتاب احبارهم ورهبانهم أربابا يتبعونهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم فان وصفهم الاخص اتباع الكتاب وان كثيرين منهم يخالفون رؤساءهم في التحليل والتحريم ومنهم الموحدون كأصحاب آريوس عند النصارى وقد كثر في هذا الزمان فيهم الموحدون القائلون بنبوة المسيح بسبب الحرية في أوربا وأمريكا وكانوا قلوا باضطهاد الكنيسة لهم

والظاهر ان القرآن ذكر من أهل الملل القديمة الصابئين والمجوس ولم يذكر البراهمة والبوذيين وأتباع كنفوشيوس لأن الصابئين والمجوس كانوا معروفين عند العرب الذين خوطبوا بالقرآن أولا لمجاورتهم لهم في العراق والبحرين ولم يكونوا يرحلون إلى الهند واليابان والصين فيعرفوا الآخرين والمقصود من الآية حاصل بذكر من ذكر من الملل المعروفة فلاحاجة الى الإغراب بذكر من لا يعرفه المخاطبون في عصر التنزيل من أهل الملل الأخرى ولا يخفى على المخاطبين بعد ذلك ان الله يفصل بين البراهمة والبوذيين وغيرهم أيضا

ومن المعلوم ان القرآن صرح بقبول الجزية من أهل الكتاب ولم يذكر أنها تؤخذ من غيرهم فكان النبي (ص) والخلفاء (رض) لا يقبلونها من مشركي العرب وقبلوها من المجوس في البحرين وهجر وبلاد فارس كما في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث . وقد روى أخذ النبي الجزية من مجوس هجر أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن عوف انه شهد لعمر بذلك عند ما استشار الصحابة فيه . وروى مالك والشافعي عنه أنه قال: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وفي سنده انقطاع واستدل به صاحب المنتقى وغيره على أنهم لا يعدون أهل كتاب وليس بقوي فان إطلاق كلمة « أهل الكتاب » على طائفتين من الناس لتحقق أصل كتبهما وزيادة خصائصهما لا تقتضي انه ليس في العالم أهل كتاب غيرهم مع العلم بأن الله بعث في كل أمة رسلاً مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط كما ان اطلاق لقب « العلماء » على طائفة معينة من الناس لها مزايا مخصوصة لا يقتضي انحصار العلم فيهم وسلبه عن غيرهم

وقد ورد في روايات أخرى التصريح بأنهم كانوا أهل كتاب قال في نيل الأوطار عند قول صاحب المنتقى: واستدل بقوله سنة أهل الكتاب على أنهم ليسوا أهل كتاب. مانصه : لكن روى الشافعي وعبد الرزاق وغيرهما بإسناد حسن عن علي « كان المجوس أهل كتاب يدرسونه وعلم يقرءونه فشرب أميرهم الخمر فوقع على أخته فلما أصبح دعا أهل الطمع فأعطاهم وقال ان آدم كان ينكح أولاده بناته فأطاعوه وقتل من خالفه فأسري على كتابهم وعلى مافي قلوبهم منه فلم يبق عندهم منه شيء» وروى عبد بن حميد في تفسير سورة البروج باسناد صحيح عن ابن أبزى. لماهزم المسلمون أهل فارس قال عمر اجتمعوا (أي قال للصحابة اجتمعوا للمشاورة كاهي السنة المتبعة والفريضة اللازمة) فقال ان المجوس ليسوا أهل كتاب فنضع عليهم الجزية ولا من عبدة الأوثان فنجري عليهم أحكامهم. فقال علي بل هم أهل كتاب «فذكر نحوه لكن قال فوقع على ابنته وقال في آخره فوضع الاخدود لمن خالفه. فهذه حجة من قال كان لهم كتاب. وأما قول ابن بطال لو كان لهم كتاب ورفع لرفع حكمه ولما استثنى حل ذبائحهم ونكاح نسائهم فالجواب ان الاستثناء وقع تبعا للأثر الوارد لأن في ذلك شبهة تقتضي حقن الدم بخلاف النكاح فانه يحتاط له. وقال ابن المنذر ليس تحريم نكاحهم وذبائحهم متفقا عليه ولكن الأكثر من أهل العلم عليه اه

اذا علمت هذا تبين لك ان العلماء لم يجمعوا على أن لفظ المشركين والذين أشركوا يتناول جميع الذين كفروا بنبينا ولم يدخلوا في ديننا ولا جميع من عدا اليهود والنصارى منهم فهذا نقل صحيح في المجوس ومنه نعلم ان للاجتهاد مجالا لجعل لفظ المشركات والمشركين والقرآن خاصا بوثنيي العرب وأن يقاس عليهم من ليس لهم كتاب ولا شبهة كتاب يقربهم من الاسلام «كما ان أهل الكتاب فيه خاص باليهود والنصارى ويقاس عليهم من عندهم كتب لا يعرف أصلها ولكنها تقربهم من الاسلام بما فيها من الآداب والشرائع كالمجوس وغيرهم ممن على شاكلتهم وقد صرح قتادة من مفسري السلف بأن المراد بالمشركين والمشركات في الآية العرب كما سيأتي

وعلى هذا لا يكون قوله تعالى «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ» نصا قاطعا

في تحريم نكاح الصينيات الذي أكثر منه المسلمون في الصين وانتقل الاقتداء بهم فيه الى جاوه اوكاد. وقد كان ذلك من اسباب انتشار الاسلام في الصين . ولا أدرى مبلغ أثره في ذلك عندكم وبنفي كونه نصا قاطعا في ذلك لا يكون استحلاله كفرا وخروجا من الاسلام والالاساغ لنا ان نحكم بكفر من لا يحصى من مسلمي الصين .

هذا وان المشهور عند العلماء ان الأصل في النكاح الحرمة وان كان الاصل في سائر الاشياء الاباحة وعلى هذا لابد من النص في الحل ويمكن ان يقال اذا لم نقل بأن هذا يدخل في القاعدة العامة بأن الأصل الاباحة في كل شيء حتى يرد النص بحظره فاننا نرد الأمر الى الكتاب العزيز فنسمعه يقول بعد النهي عن نكاح أزواج الآباء (٤: ٢٣ حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم و بنات الأخ و بنات الاخت وأمهاتكم اللاتي ارضعنكم او اخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم و ربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ماقد سلف ، ان الله كان غفورا رحيما (٢٤) والمحصنات من النساء الا ماملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ماوراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) الآية

فنقول على أصولهم ان قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » لا يخلو ان يكون قد نزل بعد ما جاء في البقرة من النهي عن نكاح المشركات وفي سورة النور من تحريم نكاح المشركة والزانية أو قبله ، فان كان نزل بعده صح أن يكون ناسخا له وان كان نزل قبله يكون تحريم نكاح المشركة والزانية مستثنى من عموم « وأحل لكم ما وراء ذلكم » بطريق التخصيص سواء سمي نسخا ام لا كما يستثنى منه ما ورد في الحديث من منع الجمع بين البنت وعمتها قياسا على تحريم الجمع بين الاختين او إلحاقا به وجعل ما يحرم من الرضاع كالذي يحرم من النسب على القول المشهور في الاصول بجواز تخصيص القرآن بالسنة على ان الجمهور أحلوا التزوج بالزانية. وعلى كل حال يكون نكاح الكتابيات ومن في حكمهن (كالمجوسيات عند من قال

بذلك كما نقل الحافظ ابن المنذر) داخلا في عموم نص «وأحل لكم ماوراء ذلكم» وأكد حل نكاح الكتابيات في سورة المائدة التي نزلت بعد ما تقدم كله

وخلاصة ما تقدم ان نكاح الكتابيات جائز لا وجه لمنعه ونكاح المشركات محرم وكون لفظ المشركات عاما لجميع الوثنيات او خاصا بمشركات العرب محل اجتهاد وخلاف بين علماء السلف . قال ابن جرير في تفسير (ولا تنكحوا المشركات) : «وقال آخرون بل انزلت هذه الآية مرادا بحكمها مشركات العرب لم ينسخ منها شيء» وروى ذلك عن قتادة من عدة طرق وعن سعيد ابن جبير ولكن هذا قال « مشركات أهل الاوثان » ولم يمنع ذلك ابن جرير من عده قائلا بأنها خاصة بمشركات العرب . ثم قال بعد ذكر سائر روايات الخلاف « وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أنه تعالى ذكره عنى بقوله « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات وان الآية عام ظاهرها خاص باطنها لم ينسخ منها شيء وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها » الخ ما اطال به في بيان حل نكاح الكتابيات

هذا مايظهر بالبحث في الدليل ولكننا لم نطلع على قول صريح لأحد من العلماء في حل التزوج بما عدا الكتابيات والمجوسيات من غير المسلمين قد صرح بحل المجوسية الإمام أبو ثور صاحب الامام الشافعي الذي تفقه به حتى صار مجتهدا وصرحوا بأن تفرده لايعد وجها في مذهب الشافعي . فالشافعية لايبيحون نكاح المجوسية فضلا عن الوثنية الصينية

ولا يأتي في هذا المقام قول بعض اهل الاصول ان النهي لا يقتضي البطلان في العقود والمعاملات وهو مذهب الحنفية فانهم استثنوا منه النكاح وعللوا ذلك بأنه عقد موضوع للحل فلما انفصل عنه ما وضع له بالنهي المقتضي للحرمة كان باطلا بخلاف البيع لأن وضعه للملك لا للحل بدليل مشروعيته في موضع الحرمة كالأمة المجوسية فلذلك كان النهي عن شيء منه غير مقتض إبطال العقد . فلا يقال عندهم ان نكاح الصينية يقع صحيحا وان كان محرما

وأما البحث في ال[illegible] حكمة التشر[illegible] تعالى ذلك في آية النهي

عن التناسخ بين المؤمنين والمشركين في آية البقرة بقوله (أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) وقد وضحنا ذلك في تفسير الآية و بينا الفرق بين المشركة والكتابية فيه فيراجع في الجزء الثاني من التفسير (من ص ٣٥٧-٣٦١) ومنه ان أهل الكتاب لكونهم اقرب الى المؤمنين شرعت موادتهم لأنهم بمعاشرتنا ومعرفة حقيقة الاسلام منا بالتخلق والعمل يظهر لهم ان ديننا هو عين دينهم مع مزيد بيان واصلاح يقتضيه ترقي البشر وإزالة بدع وأوهام دخلت عليهم من باب الدين وما هي من الدين في شيء. واما المشركون فلا صلة بين ديننا ودينهم قط. ولذلك دخل أهل الكتاب في الاسلام مختارين بعد ما انتشر بينهم وعرفوا حقيقته ولو قبلت الجزية من مشركي العرب كما قبلت من أهل الكتاب لما دخلوا في الاسلام كافة ولما قامت لهذا الدين قائمة. ومن الفرق بينهما في القرب من الاسلام أو الدعوة الى النار ان أهل الكتاب لم يكونوا يعذبون من يقدرون عليه من المسلمين ليرجع عن دينه كما كان يفعل مشركو العرب

ثم ان للاسلام سياسة خاصة في العرب و بلادهم وهي ان تكون جزيرة العرب حرم الاسلام المحمي وقلبه الذي تتدفق منه مادة الحياة الى جميع الاطراف وموئله الذي يرجع اليه عند تألب الاعداء عليه ولذلك لم يقبل من مشركي جزيرة العرب الجزية حتى لا يبقى فيها مشرك بل أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يبقى فيها دينان كما بينا ذلك في الفتوى الرابعة المنشورة في الجزء الثاني (ص ٩٧) من هذا المجلد وتدل عليه الاحاديث الواردة في كون الاسلام يأرز في المستقبل الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها. وهذا يؤيد تفسير قتادة المشركين والمشركات في الآية

واذ كان الازدواج بين المسلمين والمشركين ينافي هذه السياسة التي هي الاصل الاصيل في انتشار الاسلام وكان تزوج المسلمين بالصينيات مدعاة لدخولهن في الاسلام كما هو حاصل في بلاد الصين فلا يكون تعليل الآية المحرمة صادقا عليهن وكيف يعطى الضد حكم الضد

وقد حذرنا في التفسير من التزوج بالكتابية اذ خشي أن تجذب المرأة الرجل الى دينها لعلمها وجمالها وجهله وضعف أخلاقه كما يحصل كثيرا في هذا الزمان في

في تزوج بعض ضعفاء المسلمين يعض الأوربيات او غيرهن من الكتابيات فيفتنون بهن وسد الذريعة واجب في الاسلام

كروية الارض ومطلع الشمس

مطلع الشمس المكان الذي تطلع منه ومغربها المكان الذي تغرب فيه وهو يختلف باختلاف المواقع لكروية الارض اذلو كانت سطحا هندسيا لما حصل هذا الاختلاف في المطالع والمغارب . ويعبر كل قوم عن مشرقهم ومغربهم بحسب ما يرون وان خالفوا فيه غيرهم فيقول بعضهم إن الشمس تطلع من جبل كذا وتغرب في البحر وبعضهم غير ذلك . واذا رحل أحدهم الى أقصى ذلك المكان من جهة المشرق يقول قد وصلت الى مطلع الشمس . وقد تعارف امم كثيرة تختلف مواقع بلادهم ومشارقها ومغاربها على تسمية قطعة من الأرض بالمشرق وقطعة بالمغرب مع ان ما يسمونه مشرقا يكون مغربا لقوم آخرين وما يسمونه مغربا يكون مشرقا لقوم آخرين كما سميت بلاد مراكش بالمغرب الأقصى حتى ان أهل امريكا يعبرون عنهم بذلك وان كانت في جهة المشرق منهم . ومثل ذلك التعبير عن بلاد الدولة العلية مثلا بالشرق الأدنى وعن بلاد الصين بالشرق الاقصى . ويطلق الافرنج لفظ الشرق على قارتي آسية وافريقية مع ان بعض بلاد افريقية هي في جهة المغرب من بعض بلادهم

فاذا أريد بمطلع الشمس ومغربها في قصة ذي القرنين ما كان يسمى في بلاده مطلعا ومغربا صح ذلك واذا فرضنا انه كان لهم عرف في المطلع والمغرب كبعض العرف المشهور الآن صح ذلك . والا ظهر أن المراد بالمطلع والمغرب في قصته أقصى المشرق وأقصى المغرب الذي تيسر الوصول اليه بأسباب السياحة والسفر التي كانت في عصره وبالنسبة إلى بلاده فكان في سياحتيه كالذين يحاولون الآن اكتشاف القطبين الشمالي والجنوبي

هذا وان الاشكال الذي هو محل الوقفة عندكم يرد على استعمال لفظ مطلع أو مشرق ومغرب مطلقا كما أشرتم الى ذلك فاذا كنتم لا تجيزون استعمال هذه

الألفاظ الا في حقيقة لا تختلف باختلاف البلاد فقد خطأتم جميع البشر في عرفهم واصطلاحهم والخطب سهل والمراد ظاهر ولا مشاحة في الاصطلاح

الصور المتحركة

لا نرى وجها للسؤال عن حل رؤية هذه الصور أو حرمتها فالأصل الحل . إنتالم نسمع ان أحدامن علماء المسلمين قال ان النظر الى الصور محرم ولا وجه لجعل الحركة سببا للحرمة . و يظهر لنا من هذا السؤال انكم لستم جاهلين لإباحة روئية هذه الصور ولكن عندكم أناسا متنطعين يحبون التحكم والاشراف على المسلمين بالأمر والنهي من سماء الدين فيحلون و يحرمون بغير علم وما جرأ أمثال هؤلاء في المسلمين على تحكمهم حتى ضيقوا عليهم دائرة دينهم الواسعة الا التقليد الأعمى و يزعم هؤلاء المعممون المقلدون ان الاجتهادهو الذي يضيع على العامة دينهم ويكثر الذين يتحكمون في شرعهم والأمر بالعكس فان الذي لايقبل منه القول الا بالدليل لا يستطيع أن يتحكم ولا أن يعبث كالذي يقبل قوله بلا دليل بدعوى ان طلب الدليل نزوع الى الاجتهاد الممنوع

الاخبار البرقية

هذه الاخبار التي تبلغ بالآلات الكهربائية التي يعبرعنها بما ذكر و بالتلغرافات هي قطعية الاداء فكل من تثق بخبره اذا كلمك بلسانه تثق بخبره الذي يبلغه بالبرق لا يتردد في هذا أحد في العالم المستعمل فيه التلغراف ومتى صدق الناس الخبر تبعه العمل بما يترتب عليه من الاحكام الشرعية لاسيما اذا كان من جهة رسمية يطرد صدق برقياتها وكيف تطيب نفس المسلم ان يفطر في نهار بانه في ليلة خبر برقي بروئية هلال رمضان فصدقه تصديقا تاما لا شبهة فيه ولا احتمال (وراجع المبحث في ص ٦٩٧ م ٧)

***

أسئلة من الجبل الاسود

(س من ١٧ — ٢٠) من ح . ح . في نقشيك

ما قولكم دام فضلكم ونفع المسلمين بعلومكم

فيمن يخاطب بالعربية في أرض الترك ثم يترجم بعض ألفاظ الخطبة باللسان

التركي ليفهمها الحاضرون لانهم لا يفهمون إلا باللسان التركي ولا سيا بعض الاحكام اللازمة كصدقة الفطر مثلا فهل يمنع من هذه الترجمة المذكورة وادخال الالفاظ التركية خلال الخطبة ٠

وفيمن يفتي الناس بجواز الجهر بالتكبير في الاسواق عند تشييع الحجاج في سفرهم الى الحج من بلادهم مع ما يترتب على الجهر المذكور من المفاسد التي منها امتهان الاسم الشريف في محل القاذورات وذلك مناف للتعظيم ومنها انه يكون سبباً لاجتماع النساء والرجال ومنها ضحك الكفار واستهزاؤهم بذلك الذكر الشريف فيكون سببا لهذا الاستهزاء وربما وقعت الفتنة بين القبيلين بسبب ذلك

وهل العمامة المسنونة يلزم فيها تغطية جميع الرأس حتى لا يبقى من القلنسوة شيء أم السنة هو الوجه المعتاد عند أهل الحرمين وغيرهم من استدارتها على الرأس وترك أعلا القلنسوة من غير تغطية

وهل الاعلان بموت الميت على المنابر بالصلاة والسلام عليك يارسول الله جائز أم مكروه؟ افتونا مأجورين

﴿ أجوبة المنار ﴾

ترجمة الخطبة بالاعجمية

لايمنع الخطيب في مثل الحالة المسؤل عنها من ترجمة أحكام الخطبة لأن الضرورة تلجيء الى ذلك مادام المسلمون مقصرين في تعلم لغة دينهم والا كانت الخطبة عند أولئك الترك وامثالهم من الاعاجم رسما صوريا لاتحصل به الفائدة المقصودة من الخطبة وبعض الاعاجم يحتاط فيترجم الخطبة ويشرحها بعد صلاة الجمعة وبلغني انهم يفعلون ذلك في الصين

التكبير عند تشييع الحجاج

التكبير عند تشييع الحجاج ليس مطلوبا شرعا ولا يمنع اذا لم يتخذ شعارا دينيا ولم يترتب عليه مفسدة فان اتخذه قوم شعاراً دينيا يرون انه لابد منه شرعاً أو ترتبت عليه مفسدة منع منه٠ولو كان مطلوبا شرعا كما يطلب في الايام المعلومات لما صح ان

يكون من موانعه اجتماع النساء والرجال ولاضحك الكفار(٨٦: ٢٩ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون٣٠ واذا مروا بهم يتغامزون)والامتهان لايتحقق الا في نحو الحانات أو الكنف ومايعد في العرف العام إهانة

واما الفتنة ويعني بها السائل فيما يظهر التخاصم الذي ربما يؤدي الى الضرب أو القتل فهي محل النظر لافي موضوع السؤال بل في شعائر الدين الثابتة كالاذان والصلاة والتكبير في العيد فاذا كان الكفار يؤذون المسلمين لقيامهم بشعائر الاسلام وفروضه وجب على المسلمين مقاومتهم ولو بالقتال إن قدروا فان لم يقدروا لقلتهم وضعفهم وجبت عليهم الهجرة من دار الكفر والتعصب الى حيث يكونون في أمان وحرية في دينهم . وقد زدناهذه الفائدة في الفتوى عملا بالسنة من جواب السائل با كثر مما سأل عنه عند الحاجة الى ذلك

العمامة المسنونة

العمامة (بكسر العين) هي كما قال بعضهم كل ما يعقد على الرأس سواء كان تحت المغفر اوفوقه او لما يشد على القلنسوة اوغيرها

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلبس العمامة فوق القلنسوة تارة ويلبسها بغير قلنسوة تارة أخرى كما لبس القلنسوة بغير عمامة وفي حديث عمرو بن حريث في صحيح مسلم قال « رأيت رسول الله (ص) على المنبر وعليه عمامة سوداء قدارخى طرفيها بين كتفيه » وفي حديث جابر عند مسلم ايضا انه دخل مكة وعليه عمامة سوداء ، ولم يذكر انه كان لهاذؤابة بين كتفيه قال ابن القيم فدل على ان الذؤابة لم يكن يرخيها دائما . وكان يلتحي بالعمامة تحت الحنك أحيانا ومن فوائده انه يمنع السقوط. ويحصل الغرض من لبسها بأية كيفية كانت وورد في العمامة عدة روايات ضعيفة واهية . وهي من العادات لامن أمور الدين ولكنها زي المسلمين الاولين ومفيدة في حفظ الرأس من الحر

اعلان الموت على المنارة

هذا العمل بدعة لم يأذن بها الله تعالى ولا مضت بها سنة رسول الله عليه وآله وسلم . وانما نقول انه بدعة اذا أتي به على انه مطلوب دينا بهذه الصفة اي جعله

في مكان اداء شعيرة الأذان وقرنه بأذكار مخصوصة . أما الإعلام بالموت لأجل ان يسعى من يعلمون به الى تجهيز الميت وتشييعه ودفنه والصلاة عليه فذلك مشروع وان ورد في بعض الاحاديث النهي عن النعي وهو في اللغة الاعلام بالموت وإذاعته فالمراد به نعي الجاهلية . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري إنما نهي عما كان أهل الجاهلية يصنعونه وكانوا يرسلون من يعلن بخبر موت الميت على الدور والاسواق . ومن ذلك انهم كانوا يرسلون راكبا فيقول « نعاء فلان » ويطلق النعي على اخذ الثأر فقد كانوا اذا نعوا القتيل يحرضون على الثأر له . وقال ابن الأثير ان النعي الاعلام بالموت والندب. وقال ابو بكر العربي يؤخذ من مجموع الاحاديث ثلاث حالات (الاولى) إعلام الاهل والاصحاب واهل الصلاح فهذا سنة (الثانية) الدعوة للمفاخرة بالكثرة فهذا مكروه (الثالثة) الاعلام بنوع آخر كالنياحة ونحو ذلك فهذا يحرم اه نقل ذلك عنه الشوكاني وقال بعده و بعد نقول أخرى فالحاصل ان الاعلام للغسل والتكفين والصلاة والحمل والدفن مخصوص من عموم النهي لأن إعلام من لا تتم هذه الامور الا به مما وقع الاجماع على فعله في زمن النبوة وما بعده وما جاوز هذا المقدار فهو داخل تحت عموم النهي اه فعلى هذا يكون الاعلام المسؤول عنه منهيا عنه فأقل حالاته ان يكون مكروها . وعندي انه يباح للناس ان يعلموا من لا يتولون ماذكر من الاعمال ولو للتباهي بكثرة المشيعين والمعزين بشرط ان لا يجعلوا ذلك من الدين

***

﴿ الرقص والتغني والانشاد في مجلس الذكر ﴾

ارسل الينا السؤال الآتي من بعض البلاد العربية لنعرضه على علماء الازهر فأفتى فيه من اطلع عليه بما ترى في الجواب وهذا نص السؤال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ما قول العلماء الاعلام السادة الكرام في قوم عوام يجتمعون وينشدون الاشعار بالالحان المحدثة والنغمات المطربة ويصفقون بالسبح ويتمايلون بتكسر وتثن هل

فعلهم جائز أيضا وإذا قلنا بكراهة ذلك في أحد المذاهب الاربعة هل يجوز للانسان التقليد لبرقص مثلهم . وما الحكم في مذهب الامام مالك بالرقص إذا كان بتكسر وتثن كرقص المخنثين هل هو حرام أو مكروه فقط أفيدونا بالجواب الشافي لاخلت منكم الديار في جميع الاقطار

الجواب

الحمد لله أما بعد فقد سئل الطرسوسي رحمه الله في مثل ذلك فقال مذهب الصوفية ان هذا بطالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ان الرقص والتواجد أحدثهما أصحاب السامري لما اتخذلهم عجلا جسدا له خوار فأتوا يرقصون حوله و يتواجدون ، والرقص دين الكفار وعباد العجل ، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على طلبهم . وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم . قال العلامة ابن حجر الشافعي هذا هو الحق وغيره هو الباطل وان الرقص بتكسر أو تثن حرام على الرجال والنساء وقال العز بن عبد السلام اما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث لا يفعلها الا أرعن أو متصنع جاهل ان الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة ولا فعل ذلك أحد من الانبياء . وانما يفعله الجهلة السفلاء . الذين التبست عليهم الحقائق بالاهواء . وأما نشيد الاشعار بتلك الالحان المحدثة والنغمات المطربة فهو حرام لا يفعله إلا أهل الفسق والضلال . ان هذا من الغناء المنهي عنه . قال القرطبي في نحوه افتى الامام مالك بالحرمة وهو مذهب أهل المدينة والنخعي والشعبي وسفيان الثوري وأبي حنيفة وأهل الكوفة . ولكل من الشافعي وأحمد قول بمثل ذلك ونص على الحرمة الامام الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة . وقال الامام الاذرعي اني أرجح تحريم النغمات الملحنة وسماعها . قال عليه الصلاة والسلام ان الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وقال أبو العباس القرطبي الغناء لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم . ولا فعل بحضرته ولا اعتني بمن يفعله

فليس ذلك من سيرته ولا سيرة خلفائه من بعده ولا من سيرة أصحابه ولا عترته ولا هو من شريعته . بل هو من المحدثات التي هي بدعة وضلالة وقد يتعامى عن ذلك من غلب عليه الهوى . قال عليه الصلاة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ — وان رجلا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الغناء من غير فاحشة فقال لا آذن لك ثم توعده ان عاد اليه بالضرب الوجيع وحلق رأسه تمثيلا به تعزيرا و بالنفي عن أهله و بإحلال سلبه لفتيان المدينة . ثم قال عنه وعن أمثاله هؤلاء العصاة . ثم توعدهم بأن من مات منهم بغير توبة حشره الله يوم القيامة كما كان في الدنيا مخنثا عريانا كلما قام صرع . ومن أدلة التحريم قوله تعالى «واستفزز من استطعت منهم بصوتك» . فسره مجاهد بالغناء والمزامير . ومنها قوله تعالى «أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون » أي مغنون على لغة حمير كما قال عكرمة وابن عباس . وقال مجاهد هو الغناء بلغة أهل اليمن . من هذا كله تعلم ان المذاهب كلها على تحريم ما يصنع أمثال هؤلاء وان فعلهم هذا ممقوت عند الله وعند العلماء والعقلاء . وان مجلسهم مجلس الشيطان لا مجلس الرحمن . ولا يجوز افشاء السلام عليهم لأن بينهم و بين الشريعة حربا عوانا والمحارب لا سلام ولا أمان له . فيترك السلام خوف ان يظنوا انهم محقون مكرمون مرضي عنهم . واذا كان الأمر كذلك فكيف يقلدهم في هذه الأباطيل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر

كاتبه   كاتبه

حسين والي الشافعي المدرس بالازهر   عبد الغني محمود المالكي بالازهر

العمل المذكور بالسؤال غير مشروع عند الحنفية

كاتبه

عبد الباقي المغربي الحنفي المدرس بالأزهر

(المنار) هذا التشديد في الغناء خاص بمن يفعله على انه عبادة ودين كبعض المتصوفة وكذا شدد فيه بعضهم مطلقا وقد فصلنا القول فيه تفصيلا في الجزءين الأولين من المجلد التاسع . وخبر الذي استأذن الرسول بالغناء لا يصح وانما ذكروه تقوية للتنفير

احدى الكبر ☆ وكبرى العبر

خلع عبد الحميد خان . نفيه من دار السعادة . وضعه تحت المراقبة العسكرية . ضبط امواله وذخائره وعقاره . اباحة يلدز للامة . تولية مولانا السلطان محمد الخامس

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ، وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ، وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ، وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ، بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

(سورة آل عمران ٣ : ٢٦)

جلت قدرة الله ونفذت مشيئته ، وغلب قدره وعلت كلمته ، جعل الايام دولا ، وجعل للدول نواميس وسنناً ، فلا مبدل لسننه ، ولا محوّل لنواميس خلقه، فلايغرنك إملاؤه للظالمين ، واستدراجه المفسدين ، «١٤ : ٤٢ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ٤٣ مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء» ، وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب

لا ينفع من قدره حذر ، ولا ينفذ من محيط سننه سلطان البشر ، فلا يهولنك ما ترى من رسوخ الاستبداد ، ولا يوئسنك ما تشاهد من غلبة الاستعباد ، ولا يفزعنك ما ترى من الحصون والاجناد ، فقد مضت سنة الله بأن الشيء إذا جاوز حده ، جاورضده ، وان شدة الضغط توجب شدة الانفجار ، وان الاعمال بالخواتيم ،

«٧:١٢٨ والعاقبة للمتقين » ، «١٣ : ٢٥ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار

ألا وإن مشيئة الله في إيتاء الملك ونزعه ، وخفض الملك ورفعه ، واعتزاز السلطان وإذلاله ، ليست مشيئة استبدادية ، مغيرة لسننه الاجتماعية ، وإنما جعل لكل شيء سبباً ، ولكل أمر مقادير وسننا ، فما من أمة تفرقت كلمتها ، وغلب عليها الجهل بحقوقها ، واعتقاد وجوب التقديس لأ مرائها وملوكها ، وكثر فيها المنافقون ، وقل فيها الصادقون ، الا وابتليت بالمستبدين ، ومنيت بالظالمين ، يسومونها سوء العذاب ، ويقطعون بها الأسباب ، فيأكلون الاموال ، ويستذلون الرجال ، ويجعلون الحرائر إماء ، ليتمتعوا بالمئات من النساء ، ويعبثون بالشريعة والقانون ، ويجنون على الأخلاق والآداب ، فيذلون أممهم ، ويضعفون دولهم ، فاذا استيقظت الامة من سباتها ، واجتمعت بعد شتاتها ، وعرفت حقوقها ، وغيرت ما بأنفسها من تقديس السلاطين ، وأرادت ان تجعل الحكم فيها للشريعة والقوانين ، فان الله يغير ما بها من الذل والعبودية ، فتستبدل بها العز والحرية ، من حيث يذل ظالميها ، ويهلك مذليها ، « ١٣ : ١١ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

لقد صدقنا الله وعده ووعيده ، وأرانا بأعيننا مصداق كتابه ، فهذا عبد الحميد خان وأعوانه ، وقرناؤه وخصيانه ، وجواريه وغلمانه ، قد بغوا في الارض ، وتركوا السنة والفرض ، وعطلوا الشريعة والقوانين ، واستبدوا بجميع العثمانيين ، وجمعوا القناطير المقنطرة من الأموال ، وحشدوا حواليهم الالوف المؤلفة من الرجال ، وأقاموا حولهم المعاقل والحصون ، ليمنعوا أنفسهم ان يصول عليها المظلومون ، « ٥٩ : ٢ وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولي الابصار

نعم ان في ذلك لكبرى العبر ، لمن يعقل ويتدبر ، « ٧٤ : ٣٢ كلا والقمر ٣٣ والليل إذ أدبر ٣٤ والصبح إذا أسفر ٣٥ إنها لإحدى الكبر ٣٦ نذيراً للبشر ٣٧ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر » فقد أدبر ليل الظلم والاستبداد ،

وأسفر صبح الدستور فميز بين الإصلاح والإفساد، وذهب الغي وجاء «الرشاد»، وكانت هذه الحركة العثمانية إحدى الكبر، نذيراً للمستبدين من البشر، تعلمهم انه لا ينفع حذر من قدر، كما تعلم من شاء أن يتقدم أو يتأخر من الامم، كيف يكون السير في الطريق الأمم، وانما مدار التقدم والتأخر على العدل والاستبداد، ورسوخ جذور احدى الكلمتين في البلاد، « ١٤ : ٢٤ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ٢٥ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ٢٦ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء »

لقد ذهبت هذه العبرة بأعذار اليائسين من رَوح الله، وتعلات القانطين من رحمة الله، الذين يتركون العمل، ويتفيئون ظلال الكسل، إذا غلقت في وجوههم الابواب، وتقطعت بهم الأسباب، جهلا بعناية الله بالإنسان، وسننه في نظام الأكوان، فها نحن أولاء قد رأينا عبد الحميد خان قد غلق جميع الأبواب التي يتصور التوصل منها الى خلعه، وقطع جميع الأسباب التي يتخيل انها تفضي الى أخذه، حتى أنه منع الاجتماع والجمعيات، وحجر حتى على كثير من الألفاظ والاصطلاحات، فأبطل من المحاكم الشرعية لفظ الحجر والجنون، وان يحكم بالحجر على مجنون، ومنع لفظ المخالعة والخلع (١)، منها ومما يطبع من كتب الشرع، لأنه يذكر بلفظ الخلع، (بالفتح) كما أبطل من جميع المطبوعات، امثال هذه الكلمات، عبد الحميد. سلطان (الاعتد ذكره) مراد. رشاد. ثورة. حرية. جمعية، مبعوثان الخ وكان لمراقبي الجرائد في ذلك من الأمر والنهي، والاثبات والمحو، ما يضحك الثكلى، ويبكي اليائس الذي جاءته البشرى، وأمر بحذف دعاء القنوت من كتب التعليم، وكلمة خلع النعلين مما يطبع من

(١) الخلع بالضم الطلاق بعوض. وقد رفع الى محكمة التمييز إعلام بحكم شرعي في مخالعة فردته الى المحكمة الابتدائية لاجل تصحيحه بحذف كلمة خلع منه. وقد نبهت على ذلك بالارقام كقولها (مثلا) يجب تغيير الكلمة الرابعة من السطر الثاني والعاشرة من السطر الثالث وهلم جرا

كتب الفقه والحديث ، لئلا يخطر خلعه في البال، عند ذكر خلع النعال ، او يسبق الى فهم المتعلمين او المصلين ، ان كلمة « ونخلع من يفجرك » في القنوت توجب خلع الفجار من السلاطين ، هكذا رأيناه قد اتقى كل شيء الا الله ، « ٨١:٢٨ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله » ٢: ٢٧٠و٣:١٩٢ وما للظالمين من أنصار .

عز عليه ان يسلب بالدستور والحرية ، ما كان ينتحله من صفات الربوبية ، ككونه يحكم مايشاء ويفعل ما يريد ، لاراد لأمره ،ولا معقب لحكمه،ولاحدود لأمره ونهيه ، يحمد على السراء والضراء ، « ٢٣:٢١ لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون » يعطي ويمنع ، ويضر وينفع ، ويصل ويقطع، ويفرق ويجمع،ويخفض ويرفع ، يسلب من يشاء ماشاء ، ويقتل من أراد متى أراد، ويبعد من يكره، ويقرب من يحب، فرأى بعد الدستور أن أمر الشريعة والدستور فوق أمره، وان نفوذ جمعية الاتحاد والترقي فوق نفوذه ، وان الالسنة والاقلام التي كانت مكرهة على ترتيل آيات إطرائه ترتيلا ، والتسبيح بحمده بكرة وأصيلا ، صارت تسمي أعماله ووقائع عصره باسمائها ، بعد ان كانت تطلق عليها أسماء اضدادها ، اذ كانت تسمي الظلم عدلاً ، والنقص فضلاً ، والجهل علماً ، والسفاهة حلماً ، والباطل حقا ، والكذب صدقا ، والإفساد إصلاحاً ، والخسر فلاحا ، والتخريب عمرانا ، والاساءة إحسانا ، الى غير ذلك .

راعه ان يكون بشرا يوصف بصفات البشر ، وان تكون رعيته من جنسه لا من الغنم والبقر ، فضاق بهذا الدستور صدرا ، وعجز عن مبارزته جهراً ، فلجأ الى الكيد والاحتيال ، وفتح ما ادخره لمثل هذا اليوم من كنوز الاموال ، فألف بها الجمعية المحمدية ، وبث دعاتها في العاصمة وجميع الولايات العثمانية ، فطفقوا يوسوسون لعامة المسلمين ، إن الدستور مناف للدين ، وان جمعية الاتحاد، تريد بث التعطيل والإلحاد ، وتحويل الحكومة الاسلامية ، الى حكومة أوربية ، بل بثوا فتنتهم في الجيش فشقوه نصفين ، ودبروا مكيدة لإيقاع المذابح بين العنصرين ، (المسلمين والنصارى) « ٤٦:١٤ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال » أما لو وقعت الواقعة ، وقرعت الدولة هذه القارعة ، لرُجَّت الأرض رجا ،

وبسَّت البلاد بسا ، (١) فكانت هباء منبثا ، (٢) ولكن لطف الله بهذه الأمة ، وأراد انقاذ هذه الدولة ، فانهتك الستر ، وانكشف السر ، وظهرت بوارد الثورة على الدستور في القسطنطينية ، قبل أن تصل دعاتها الى جميع الولايات العثمانية ، فقتل الثائرون بعض أعضاء مجلس النواب ، ودمروا على نادي جمعية الاتحاد ، فتبروا ماعلوا تتبيرا ، وكادوا يدمرون المعاهد تدميرا ، فأرز (٣) أهل التدبير الى سلانيك وهي مصدر الدستور ، ومطلع هذا النور ، واستصرخوا ذلك الجيش المنصور ، فلباهم سليل الفاروق ، مبادرًا الى فتح فروق ، والقضاء الاخير على الاستبداد ، واصطلام آخر جرثومة له في البلاد ، والتنكيل بما له من الاحزاب والأنصار ، (١٣ : ١٠ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) (٤)

عبأ (محمود) الأمة ، و (شوكة) الملة ، تلك الكتائب الشعواء ، وهي كالقضاء المنزل من السماء ، فكان هومنها كما قال شوقي من قبل في مدح جيش عبد الحميد تبعا لمدحه

يقود سراياها ويحمي لواءها	سديد المرامي في الحروب مجرب
يجيء بها حينا ويرجع مرة	كما تدفع اللجّ البحار وتجذب
ويرمي بها كالبحر من كل جانب	فكل خميس لجة تتضرب
وينفذها من كل شعب فتلتقي	كما يتلاقى العارض المتشعب
ويجعل ميقاتا لها تنبري له	كما دار يلقى عقرب السير عقرب
فظلت عيون الحرب حيرى لماترى	نواظر ما تأتي الليوث وتغرب
تبالغ بالرامي وتزهو بما رمى	وتعجب بالقواد والجند أعجب

(١) أي خربت فكانت أجزاء متفتتة ، اوسيق أهلها كما تساق الغنم (٢) الهباء الغبار والمنبث المنتشر المتفرق (٣) اي اجتمعوا وانضم بعضهم الى بعض كذا فسر الاصمعي الكلمة في الحديث . وفي اللسان أرز (كجلس) تقبض وتجمع وثبت ، ويقال ارز الى المكان اذا كان مأمنه ومنعته (٤) اي ويقال لهم سواء منكم أيها الخارجون على الدستور من اسرّ القول للجنود وغيرهم بالحث على الفتنة ومن جهر به الخ ، والسارب الظاهر البارز كاولئك الجنود العصاة

أو كما قال اليوم يخاطب هذا الجيش مفتخراً بعمله في أخذ عبد الحميد وخلعه

يا أيها الجيش الذي لا بالدعيّ ولا الفخور
يخفى فان ريع الحمى لفت البرية بالظهور
كالليث يسرف في الفعا ل وليس يسرف في الزئير
الخاطب العلياء با لأرواح غالية المهور
عند المهيمن ماجرى في الحق من دمك الطهور
يتلو الزمان صحيفة غراء مذهبة السطور
في مدح « أنورك » الجري ء وفي« نيازيك » الجسور
« يا شوكت » الاسلام بل يا فاتح البلد العسير
وابن الأكارم من بني «عمر» الكريم على «البشير»
القابضين على الصليـ ل كجدهم وعلى الصرير
هل كان جدك في ردا ئك يوم زحفك والكرور
فقنصت صياد الاسو د وصدت قناص النسور
وأخذت « يلدز » عنوة وملكت عنقاء الثغور

نعم كرّ الفاروقيّ بجيشه وعيون الأمم الاجنبية شاخصة اليه ، وقلوب الشعوب العثمانية محوّمة عليه ، وزحف على الآستانة ، مصوبا مدفعه ممتشقا حسامه ، فلقيته جنود عبد الحميد ، وكانت الحرب كالسيل يقذف جلمودا بجلمود ، فطلّ الاخ دم أخيه ، وخرق القريب صدر قريبه ، فكانت جنودنا كما قال البحتري

اذا اشتجرت يوما نفاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

ولكن شتان ما بين الباعثين ، وما أبعد ما بين الداعيتين ، ففريق ينصر الملة بنصر الشورى والدستور ، ويحمي الأمة بحماية مجلس المبعوثين ، وفريق ينصر الاستبداد بنصر ذلك الشبح البال ، والمسرف المال ، والخوّن الغال ، (٣ : ١٣ والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)

أيد الله الحق على الباطل ، ومكن جند الدستور من تلك الحصون والمعاقل ،

حتى كأن قائده يحمل سيف جده عمر ، الذي كتب الله له النصر والظفر ، فكان هو الفاروق الفاصل ، بين العدل والظلم والحق والباطل ، وقد أعجب أهل الحرب في أوربا بسرعة حركته ، وحسن تعبئته ، كما اعجب أهل السياسة بإحكامه للنظام ، وحفظه للأمن ، وفرح العثمانيون بنصر الله الدستور على الاستبداد ، وحكم الشورى على حكم الأفراد ، « ٤٠: ٥١ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ٥٢ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار »

سقطت « يلدز » ذات الحصون المشيدة ، والملاجئ المتعددة ، بعد ان حاصرها جيش الدستور ، وقطع عنها الزاد والماء والنور ، وفيها اربعة آلاف من النساء والغلمان ، والخصيان والأعوان ، والحرس الداخلي والحجاب ، والخدم والكتاب ، والسواس والحوذية ، والأريسيين والبستانية ، كانوا يأكلون كل يوم ما تشتهيه الانفس من اصناف الألوان ، ويتمتعون بما احبوا من بنات الحان ومعتقات الدنان ، وقد استعد عبد الحميد فيها لكل شيء الا الحصار فانه لم يكن في الحسبان ، وسبحان من لا يشغله شان عن شان ، أراد ان يجعلها كجنة الخلد ، فاذا هي في يوم الحصار دون جنة آدم في الأرض ، فقد قال الله لآدم (٢٠ :١١٨ ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى ١١٩ وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) وقد جاع وظمئ في جنة عبد الحميد حتى القادات ، وصار من فيها كالسوائم يقتاتون بورق النبات ، نعم ذاقت يلدز طعم الجوع ، بعد ان كانت مئات الموائد توزع من فضلاتها على الجوع ، وتجبع الألوف من الجنود وغير الجنود ، وذاقت لباس الخوف والرعب ، بعد ان كانت تخيف جميع الشعب ، فصارت عبرة للمعتبرين ، ومثلا للآخرين ، « ١٦ :١١٢ ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

ولما ضيق عليها الحصار ارتفع الصراخ والعويل ، ممن قال فيهن شاعر النيل

أين الاوانس في ذراها من ملائكة وحور
المترعات من النعيم الراويات من السرور
العاثرات من الدلال الناهضات من الغرور

الآمرات على الولاة   الناهيات على « الصدور »
الناعمات الطيبات   العرف أمثال الزهور
الذاهلات عن الزمان   بنشوة العيش النضير
المشرفات وما انتقلن   على الممالك والبحور
من كل « بلقيس » على   كرسي عزتها الوثير
أمضى نفوذاً من «زبيدة»   في الامارة والامير
بين الرفارف والمشا   رف والزخارف والحرير
في مسكن فوق السماك   وفوق غارات المغير
بين المعاقل والقنا   والخيل والجم الغفير
سموه « يلدز » والافو   ل نهاية « النجم » المنير
دارت عليهن الدوائر   في المخادع والخدور
أمسين في رق القبيل   وبتن في أسر العشير
ما ينتهين من الصلا   ة ضراعة ومن النذور
يطلبن نصرة ربهن   وربهن بلا نصير

ولماذا صار ربهن عبدالحميد بلا نصير، ولا ولي ولا ظهير، الجواب من سورة الشورى التي كان يمقتها (٤٢ : ٨ والظالمون مالهم من وليّ ولا نصير) ومنها (٣٠) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (٣١) وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)

بعد أن ضيق جيش الدستور على يلدز الحصار، خيرها بين التسليم وبين السيف والنار، فعلم ذلك العاهل، انه جاء الحق وزهق الباطل، فأمر بالتسليم مدعياً إيثار السلام، على الحرب والصدام، وأن العسكر المهاجم كالحرس من أولاده، لافرق بين الداعم والهادم لاستبداده، فسلم من كان فيها من الجيش سلاحه وذخائره مأسوراً، ثم خرج منها مذموماً مدحوراً، وخرج وراءه رؤساء الموظفين والكتاب والقرناء، فالخصيان والخدم فالنساء، فكان عسكر الدستور يخرج كل فريق فيعرف غير النساء منهم فرداً فرداً، ويحصيهم بالمقابلة على الجداول التي بيده عداً، ثم يرسلهم محفوظين

إلى المواضع التي أعدهالم ، إلى ان يصدر الحكم العمري الفاروقي فيهم، بل ذلك حكم الله وسننه في نظام الاجتماع ، « ٤٠ : ١٨ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » وصدق عليهم بعد اباحة بلادز للأمة ، ما نزل في فرعون وقومه « ٤٤ : ٢٥ كم تركوا من جنات وعيون ٢٦ وزروع ومقام كريم ٢٧ ونعمة كانوا فيها فاكهين ٢٨ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين »

وقد وضع الفاروقي فروق تحت الاحكام العرفية، وشكل فيها المحاكم العسكرية، لمحاكمة منفذي الفتنة الحيدية، لإبطال حكومة الشورى الشرعية ، وإعادة الاحكام الشخصية الوثنية ، وهذا أمر لا بد منه ، ولا تقوم المصلحة العامة الا به ، والقتل بهذه الاحكام العسكرية ، هو من قبيل مايطلق عليه الفقهاء اسم الاحكام السياسية . وقد صرحوا بأنه يجوز قتل الثلث لإصلاح الثلثين ، فان قيل انها أحكام ربما تصيب بعض البرآء ، قلنا وقد يقع مثل ذلك في أحكام القضاء ، « ٨ : ٢٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب »

وقد كان من أمر الولايات العثمانية عند ما علمت بكيد عبد الحميدخان للحكومة الدستورية ، ان كتبت الى مجلس الأمة بوجوب خلعه ، ونفض اليد من بيعته ، وإعلامه بأن الجنود مستعدة لمحاربته ، والاهالي يتطوعون مع الجيش لمساعدته ، فلما أمن المجلس بأس ذلك السلطان ، اجتمع المبعوثون والاعيان ، واستفتوا شيخ الاسلام ، في خلع عبد الحميد وتولية رشاد ، وهذه ترجمة الاستفتاء والفتوى بالعربية :

« اذا حذف زيد امير المؤمنين بعض المسائل الشرعية المهمة من كتب الشرع المقدسة ، ومنع ومزق وأحرق الكتب المذكوره ، وبذر واسرف في بيت المال بدون مسوّغ شرعي ، وقتل وسجن ونفى رعاياه بدون سبب شرعي، وتعوّد ارتكاب غير ذلك من المظالم الاخرى ، ثم بعد ان أقسم بأن يرجع الى الصلاح حنث يمينه وأصر على إحداث فتن عظيمة تخل تمام الإخلال بانتظام أمور المسلمين واحوالهم ، وحرض على المذابح ، واذا كانت الأخبار تتوالى من جميع أنحاء البلاد الاسلامية طالبة خلعه تخلصا من ذلك الجور ، وكان في بقائه ضرر محقق ، وفي زواله صلاح ملحوظ ، فهل يجب تنفيذ ما يرجحه أرباب الحل والعقد وأولو

الأمر من إلزامه التنازل عن السلطنة والخلافة أو خلعه ؟

(الجواب) نعم . كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين عفي عنه

بعد تناول هذه الفتوى من شيخ الاسلام التي هي أصح فتوى صدرت في هذه الأزمان ، لرد الشأن فيها إلى أولي الأمر كما أمر القرآن ، اختار أولو الأمر من المبعوثين والاعيان ، ان يخلعوا السلطان عبد الحميد الثاني ، لأنه ثبت لديهم أنه يصدق عليه ما ذكر في الاستفتاء من المظالم والمخازي ، وأن يبايعوا بالخلافة والسلطنة ، محمد رشاد افندي ولي عهد المملكة ، وهذه ترجمة قرار المجلس بالعربية

« في الساعة السادسة ونصف من يوم الثلاثاء وهو السابع من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ (مالية) تقرر في جلسة المجلس الوطني العثماني المؤلف من مجلسي الأعيان والمبعوثين خلع السلطان عبد الحميد الثاني وإسناد السلطنة والخلافة الى ولي العهد محمد رشاد افندي باسم (محمد الخامس) وذلك بناء على اختيار الخلع على التنازل الاختياري بالاقتراع وهما الحلان المبينان في الفتوى المذيلة بتوقيع شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي المتلوة في الجلسة »

ثم ان المجلس ارسل وفدين ، لتبليغ قراره للسلطانين ، ليعلما ان الأمر لأولي الأمر ، لا لرجل واحد يسمى ولي الامر ، لأن الله تعالى اسنده في كتابه الى الجمع ، ولم يسنده قط الى الفرد ، وليكون الأول عبرة للمستبدين الظالمين ، والآخر سلفا ومثلا للدستوريين الآخرين ، فبلغ الوفدان القرارين ولسان الحال ، يرتل قول الملك المتعال ، « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

دخلوا على عبد الحميد الجبار ، الحقود المنتقم القهار ، وهو في مأمنه الذي ملأه بالمسدسات ، وجعل فيه الملاجيء والمغارات والمدخلات ، وله في كل حجرة منه تمثال ، يمثله في حال من الاحوال ، فمنها النائم على السرر المرفوعة ، ومنها المتكيء على الأرائك الموضوعة ، ومنها المكب على كتابته ، ومنها الممثل لقراءته ، يحتاط بذلك الخيانة الجنود والأحراس ، وغفلة الرقباء والأرصاد ، حتى اذا ما دمر عليه محتال ، يحاول

الفتك والاغتيال ، واتفق ان اهتدى الى بعض حجراته ،التي يأرز اليها في خلواته، يغره التمثال فيهجم عليه ، فينفذ رصاص المسدسات الحميدية من بين كتفيه ، وان عبد الحميد لا يخطئ المرمى ، فقد تمرن على الرمي حتى صار كبني ثعل أو أرمى ، - دخلوا عليه فما وارته مخبآته ، ولا حمته مسدساته ، ولا دافعت عنه رجاله ،ولا أغنت عنه أمواله ، بل غلب على هـذا المخلوع الجبن الخالع ، فاذا هو خاضع خانع ، قد خرس لسان مقاله ، وقرأ لسان حاله ، « ٦٩ : ٢٧ ياليتها كانت القاضية ، ٢٨ ما أغنى عني ماليه ٢٩ هلك عني سلطانيه » يتمنى لو كانت مكيدته قضت على الدستور، وجعلت زعماءه وأنصاره من سكان القبور ، ثم طلب أن يبقوا عليه كما أبقى على أخيه مراد ، ويحسنوا إليه لأنه بريء مما وقع من الفساد !!، وطفق يلوك اباطيل الاعذار ، ولو كان صادقا لما انتهى الى هـذا « القرار » ، « ٣٨ : ٢٨ ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ام نجعل المتقين كالفجار ؟

لماذا خضع وذل عبد الحميد ، وهو الجبار العنيد ، لذلك الوفد ، الذي لم يكن معه غير ثلاثة من ضباط الجند ، أتواضعا كتواضع الخلفاء ، ام هي شنشنة الجبناء ، ان قدروا بغوا وعتوا ، وان عجزوا ذلوا وعنوا ؟ أهذا هو السلطان المستبد ، القاسي المتكبر ، الحريص على حياته ، المحافظ بقوة الدولة ومالها على شخصه ، هو بعينه عبد الحميد، الذي دخل عليه وفد مجلس الأمة من غير معارضة ولا تفتيش، فوقف أمامهم خاضعا ضارعا، متوسلا خاشعا، يسألهم الإبقاء عليه، وترك روحه العزيزة بين جنبيه؟؟ سبحانك اللهم ما أجل حكمتك، وما أعدل سنتك، وما أصدق وعدك ووعيدك ، لقد بينت لنا أن العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وقلت « ٤٠ : ٢٠ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق »

أين تلك القوة القاهرة، أين تلك الارادة النافذة، أين تلك العظمة والكبرياء، أين ذلك الشمم والإباء ، أين ذلك المسرف القتال ، أين ذلك المعجب المختال ، أين السلطان عبد الحميد ، الذي ظن انه يبقى فعالا لما يريد ، فلم يكن يقبل ان يوجد في المملكة من يقول هـذا نافع في السياسة وهذا ضار ، وهذا حلال في تصرف

الادارة وهـذا حرام ، أين السلطان عبد الحميد الذي جعل نفسه هو الملك وهو الأمة ، هو القانون وهو الشريعة ، الذي كان يرى ان الملك ملكه ، والزمان غلامه ، والناس عبيده أو عباده ، وان له الحق ان يحرف كتب دينهم ، وان يغير أسفار تاريخهم وتاريخ غيرهم ، وان عليهم ان يقابلوا إساءته بالشكر ، وظلمه بالرضاء والحمد ؟ أين السلطان عبد الحميد الذي كان لا ينزل إلى موكب صلاة الجمعة في الأسبوع ، إلا بين صفوف من الجيوش كالبنيان المرصوص ، فيحرم الصلاة على الألوف من المسلمين لأجل صلاته ، التي يجعلها عنواناً على خلافته ، فيتزلف اليه فيها بآيات معينة من القرآن ، لا يتجرأ أن يتلو غيرها قارئ ولا خطيب ولا إمام ، ولو قرأ قارئ على مسمعه آية من الآيات التي تنذر الظالمين الهلاك والدمار ، وتوعدهم بالزوال والبوار ، لأخذ منه باليمين ، ولقطع منه الوتين ، أو زجه في ظلمات السجن ، أو نفاه من الأرض ، أين عبد الحميد الذي كان يزور الخرقة النبوية الشريفة ، تذكيراً للمسلمين بأنه هو الخليفة ، فتحرس له الجنود طريقه اليها طول السنة ، فاذا قرب الموعد أخليت من جانبيها الفنادق والدكاكين والأمكنة ، وغلقت الأبواب والنوافذ والكوى ، وحشرت الجنود تملأ ما بين الرجا إلى الرجا ، لئلا يطمع أحد بالدنو اليه ، أو يكون في مكان أعلى منه ، ؟؟ « ١١١ : ٢ ما أغنى عنه ماله وما كسب » ، ولا وقاه ما أكدى وما وهب ، ولا نفعه رأي ثقاته ، ولا سلاح حماته ، بل سلمت فئته الباغية المغرورة ، لفئة الدستور المنصورة ، وذم هو عمل منفذي فتنته وتبرأ منهم ، وزعم انه كره عملهم ولكن عجز عنهم ، « ٨ : ٤٨ واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب »

بعد اسبوعين من خلع عبد الحميد ، أنفذ الفاروقي حكم أولي الأمر بنفيه الى سلانيك ، واخرج معه من دار السعادة اثنان من صغار اولاده ، واحدى عشرة امرأة من جواريه ونسائه ، وجيء به الى محطة سكة الحديد تخفر مركبته مركبات الجنود . وارسل كذلك مخفوراً في قطار مخصوص ، ولما وصل الى محطة سلانيك اختار ركوب احدى مركبات الاجرة ، الى ان وصل الى الدار التي أعدت له ، وهي دار

الاثنين باشاقائد الشرطه ، وقداحضر له ولمن معه طعام ذلك المساء من إحد مطاعم السوق ، وطلب قميصا فاشتريت له أيضا من السوق ، وكان في عامة أوقاته كاسف البال ، كثير الهواجس والافكار ، وقد تضرع الى القائد الذي استقبله ، بأن يضمن له حياته ، فهدأ القائد اضطرابه ، وسكن روعه ، ولو كان عبدالحميد صاحب عزة وإباء ، لما حرص في مثل هذه الحال على البقاء ، ولا اقول لفعل ما فعلت الزباء ، على ان البخع والانتحار اذا كان محرما في الاسلام ، فشدة الحرص على الحياة ليست من شأن أهل الإيمان ، فقد قال تعالى في الذين لا يؤمنون (٢:٩٦ ولتجدنهم احرص الناس على حياةومن الذين اشركوا يود احدهم لو يُعَمَّرُ ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون)

اما مولانا السلطان محمد الخامس فقد بويع في ذلك اليوم بنظارة الحربية ، باختيار اولي الأمر ونواب جميع الأمة العثمانية ، فان كان قد قل في حفلة المبايعة اني أول ملك في عهد الدستور والحرية ، فانا نقول ان مبايعته أول مبايعة جرت على الصورة الشرعية ، فقد كان سلفه يأخذون الملك بمجرد الإرث ، وهو قد ناله هو باختيار أهل الحل والعقد ، وقد بويع بالمصافحة كما بويع الخلفاء الراشدون ، لا بلثم الراحة وتقبيل الاذيال كما جرى عليه اسلافه المستبدون . وأول من بايعه الشريف حيدر بك من أعضاء مجلس الاعيان ، ثم الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ، ثم نقيب الاشراف فرئيسا مجلسي الاعيان والنواب ، فأعضاء المجلسين فالامراء والضباط ، ثم من حضر من خيار الناس ، وقد صرح مولانا عقب مبايعته ، بأن كل رغبته ورجائه في سعادة امته ، وبعد عدة أيام حلف في نظارة الحربية ، يمين التزام الشريعة والدستور والمحافظة على حقوق جميع الأمة العثمانية ، ثم حلف أيضا في مجلس نواب الأمة ، كما استحلفهم على الاخلاص لها وله ، فأقسموا طائعين ، وأطاعوا مختارين ، ودعوا له مخلصين ، والأمة من ورائهم تقول آمين ، والعاقبة للمتقين ، « ١٣ : ٢٩ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » »

ونسأله تعالى ان يجعل لسان حال سلطاننا الأواب ، هذه الآية الكريمة من الكتاب « ٤٠ : ٣٨ وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد » »

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين — لليافعي ﴾

٣

تتمة بحث النسخ

ولنعد الى ما كنا بصدده فنقول قد بينا في رسالتنا السابقة بعض حجج ما ذهبنا اليه وسنزيد ذلك ايضاحا فنقول — ان الكلام اذا سيق فانما يساق بمناسبة المتأخر لما تقدمه وابتنى عليه ودونك ما قبل هذه الآية لتعرف دلالة السياق وان الكلام مسوق في أي شيء أهو في ذكر المعجزات كما قال الدكتور الفاضل ام في ذكر الدين وشرائعه واحكامه ومن هنا تعرف ان ما ذكرناه عن السلف في تفسير هذه الآية هو المناسب لسياقها قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم — ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ففي اول هذه الآية حذر المؤمنين من موافقة الكافرين في إطلاق الالفاظ الموهمة كقولهم راعنا ثم اخبرهم في آخرها بشدة عداوة الكفار لهم وانهم يكرهون نزول الخير اليهم وذلك الخير الذي تفضل الله به على عباده المؤمنين هو الشرع التام الكامل(*) الذي شرعه لنبيه محمد (ص) واختصه وامته به والله

(*) المنار: الكلام صريح في بيان سبب إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أن أهل الكتاب يحسدون العرب فلا يودون ان ينزل الوحي على رجل منهم فهم لذلك ينكرون نبوة محمد(ص) والمشركون ينكرون النبوة من حيث هي فالكلام في النبوة لا في الأحكام الجزئية التي في الوحي وهي أقل ما فيه . والشرع المحمدي عقائد ومعارف إلهية وآداب وعبر واخلاق كريمة، واحكام عملية، والعقائد هي الاساس والكلام في ركن النبوة منها لأن غيره يبنى عليه فالمناسب ان تكون الآية ما يؤيده

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم — وعلى مناسبة ذلك قال « ماننسخ » من هذا الخبر وهو الشرع المحمدي « من آية او ننسها » فليس من باب تفويت او احرامكم بعض هذا الخير الذي تفضلنا به عليكم بل نفعل ذلك لنأتيكم بخير منه اذا نسخناه أو بمثله اذا قصرتم في حفظه ونسيتموه — أما قوله « الم تعلم ان الله على كل شيء قدير » الى آخره فانما ذكره في عقب هذه الآية كالدليل بالشيء على نظيره وذلك مثل استدلاله جل شأنه على البعث وامكانه بالخلق الاول وبإحيائه الارض بعدموتها وقد ذكرنا في رسالتنا السابقة مناسبات أخرى فارجع اليها وليتأمل الفاضل في هذا المقام وليعطه حقه من النظر

ونقول ايضا نحن قد قدمنا وقلنا غير مرة انه قد علم من ديننا بالضرورة ان القول بالرأي في الدين و بالاخص تفسير القرآن لا يجوز مطلقا فما بالك برأي مخالف لما قاله السلف ولما تقاوه (١)

ثم تقول لحضرة الدكتور الفاضل هب ان السلف لم يتكلموا ولم ينقل عنهم في تفسير هذه الآية شيء أفليس الواجب ان نرد كل لفظ الى اصله ونحمله على معناه الحقيقي ولا نقدم على القول بالمجاز ولا نعدل اليه الا اذا تعين بقرينة فاذا عرفت ذلك نقول قال في القاموس نسخه كمنعه ازاله وغيره وابطله وأقام شيئا مقامه والشيء مسخه والكتاب كتبه عن معارضة كانتسخه واستنسخه المنقول منه نسخة بالضم وما في الخلية حوله الى غيرها انتهى والمعنيان الاخيران لا يصح حمل الآية المتنازع في تفسيرها عليهما اتفاقا فلا يبقى الا الازالة والتغيير والابطال — فاذا كان المراد بالآية في قوله تعالى ما ننسخ من آية المعجزة كما يقول حضرة الفاضل فامعنى ازالتها أو ازالة مثلها فانه لا يزال ولا ينقل الا ما كان ثابتا في الخارج واما ما يعدم ويفوت بفوات وانقضاء زمنه فلا يقال ازاله ولا يزيله نعم يقال في مجاز اللغة ازلت حجته بمعنى بينت كذبها وعدم صحتها فاذا اريد بالآية المعجزة فلا يجوز حملها على

(١) ان من يفسر آية بغير المروي عن واحد او ٢ و٣ من السلف لا يسمى مخالفا للسلف لاسيا اذا اختلفوا والا لكان جميع العلماء مخالفين للسلف حتى الائمة المشهورين وإنما مخالفة السلف المذمومة هي مخالفة سنتهم التي جروا عليها في امر الدين والابتداع فيه

معنى الازالة لا حقيقة ولا مجاز ابقي التغيير والابطال والقول فيهما كالقول في الازالة وهل يصح ان يقال ان الله غير وابطل معجزات الانبياء السابقين فاذا فسد التفسير بحمل الآية على المعجزة تعين حملها على آيات الاحكام ونحوها من آيات القرآن لصحة قولنا ازلت حكم كذا واقمت مقامه حكما آخر او ازلت الكلمة واقمت مقامها كلمة أخرى فما ذكرناه في تفسير الآية هو الحقيقة التي لا يصلح ارادة غيرها وبذلك قال السلف كما عرفت ذلك عنهم فيما سلف — ولو جوزنا العدول عن الحقيقة الى المجاز بلا قرينة ولا مرجح للعدول وسلمنا ماقال بان النسخ قد يكون بمعنى الترك ـ فكذلك لايصح ارادة ماقاله الفاضل ولايجوز أيضا ـ لأن ترك الشيء لايكون الا إذا أمكن فعل ذلك الشيء نفسه والمعجزة الفعلية الذي وقعت وانقضى زمنها كانقلاب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية مثلا لايمكن ان تعاد نفسها لاسيما مع عدم وجود العصا فان قيل المراد مثلها قلنا وهذا مجاز بتوسط تأويل ـ ولو سلمناه أيضا فانه لا يصح حمل الآية عليه لانه لايصح الا بعد ان يثبت ان الله قدر وكتب في الكتاب الذي كتبه لكل مدة مضروبة بأن سيؤيد محمدا (ص) بمثل تلك المعجزات الماضية مماثلة من كل الوجوه فاذ قدر انه عدل عن ذلك الى ما يماثلها من بعض الوجوه جاز ان يقال ترك هذا المثل لهذا المثل ولايخفى ان الهجوم على ذلك بلا توقيف جراءة واستبداد على الله

فان قيل لانقول إنه ترك ما كتب وقدر انه يؤيد به محمدا (ص) كما ذكرتم قلنا ان تنظير الدكتور للنسخ في هذه الآية بقوله (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) صريح فيما ذكرنا فساده. ونقول أيضا ان ماهو نحو المعجزات من الافعال التي مضت وانقضت هي الآن معدومة فان قيل المراد مثالها الموجود في بعض الاذهان فيجوز تركه قلنا ذلك ممنوع لأن الموجود في الاذهان المذكورة انما هو التصديق بتلك المعجزات ونسخه انما يكون بنقضه وتكذيبه وهو محال وايضا مافي اذهانهم لو أوجده الله في الخارج فهو لايكون الا نفس المعجزات الماضية التي قد عدمت والافعال التي قد وقعت لايمكن ان تعاد نفسها وما كان كذلك فلا يقال انه تركه وعليه فالنسخ بمعنى الترك لايمكن ان يفرض الا فيما يماثل من بعض الوجوه

ماحفظه بعض الناس من معجزات الانبياء وحينئذ لا يكون المنسوخ في الآية ماقد وجد ولا مثاله الموجود في اذهانهم بل هومايماثل مثاله من بعض الوجوه وهذا إنما هومعدوم لانه غير موجود في الاعيان ولا في الاذهان ومعلوم ان الله لم يرد انه نسخ أوترك المعدوم المطلق أوانه أيد نبينا (ص) بخير منه أو مثله لان الخيرية والمثلية لايوصف بها المعدوم فظهر بذلك ان المعنى الذي حمل الآية عليه حضرة الفاضل لايصح الا فرضه في المعدوم المطلق وسياق الكلام ومعناه يأبى ذلك والا للزم وصح ان يقال ان كل ماأوجده الله فهو بدل ومثل ومسبب عن ترك معدوم مطلق لم يقدر في كتاب وهذا لم يقله أحد

هذا بعض ما نقوله في المنسوخ الذي ذكره الله في قوله « ماننسخ من آية أوننسها» وقد عرفت انه لايصح ان يفرض شيئاً مما قدمنا بيانه أمامعجزات نبينا (ص) فلاشك انها قدوفت وقامت بتأييد رسالته (ص) كاقدوفت معجزات الانبياء السابقين بتأييد رسالاتهم وزيادة لكن اطلاق ان هذا ناسخ لهذا لايصح في تفسير قوله تعالى (ماننسخ من آية أو ننسها) وقوله فكل آية من آيات الانبياء السابقين الى قوله قد أتى الله بمثلها في الاقناع والهداية أوبخير منها قلت نعم والامر كذلك الا انا قد قدمنا فساد فرض المنسوخ بمعنى المعجزة وعليه فما أتى الله ومن به على نبينا من المعجزات فليس بدلا عن معجزات الانبياء السابقين على معنى ان تكون ناسخة لتلك ولو كان كل معجزة لنبي متأخر ناسخة لمعجزات من تقدمه لكانت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لمعجزات عيسى عليه الصلاة والسلام ومعجزات عيسى عليه السلام ناسخة لمعجزات من تقدمه وهم جرا وعليه فما اتى به محمد من المعجزات لا تكون بدلا لكل معجزات الانبياء السابقين والا للزم نسخ المنسوخ حين هو منسوخ (١)

(١) المنار: كل هذه اللوازم التي اوردها ممنوعة ويمكن ايراد معنى المماثلة من كل الوجوه او بعضها على التفسير المشهور للآية وان من يفسر الآية هنا بما يؤيد الله به الانبياء كأبي مسلم لايقول اذا ازال الله ما يؤيد به بعض رسله من آية في زمن رسول آخر وايده بغيرها فانه يكون ناسخا للسابقة باللاحقة بل يقولون ان المعنى إذا لم يؤيد الرسول

ونقول ايضا يلزم الفاضل المذكور في الادلة المتعددة المختلفة الحقائق على صحة المدلولات المتماثلات والمدلول الواحد تصحيح اطلاق ان كل واحد منها ناسخ للآخر فليتأمل الناظر وليحكم بما شاء بشرط الانصاف

اما قول الفاضل المدوح واذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل اتى تعالى بدل الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثيرا من احكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؛ واقول قد عرفت انه لا يمكن حمل ذلك على غير آيات الاحكام ونقول نعم انه قد عوضنا بدل كل آية نسخها ورفعها بما هو مثلها وافضل منها وذلك موجود في هذا القرآن الذي بين ايدينا — أما قوله فكيف نسخ كثير من القرآن بالسنة على قول بعضهم فجوابه انه لم يفضل احد احكام القرآن على احكام السنة لان الكل من الله والحكم الناسخ سواء كان في القرآن او في السنة هوا كثر خيرا من المنسوخ ولا تفاوت في نفس الحكم الا أن هذا يكون اصح من هذا كما سيأتي بيانه . نعم ألفاظ القرآن هي افضل من ألفاظ الأحاديث ولم يقل أحد أن لفظ الحديث ناسخ للفظ القرآن فما اراد ايراده غير وارد فتأمل

ونحن قدمنا الكلام في اختلاف العلماء في النسخ فارجع اليه فمن يجوز نسخ القرآن بالسنة بعضهم يقول ان ذلك جائز لكنه لم يقع واما من يقول منهم بوقوعه فلهم أن يفرقوا بين نسخ الآية ونسخ حكمها بأن يقولوا إنه من المعلوم بالضرورة ان الدين كله سواء كان قرآنا او وحيا غير قرآن — وهو السنة — انما عرفناه بتوسط محمد (ص) الذي عرفنا صدقه وصحة نبوته ورسالته فلا يجوز لنا ان نقبل بعض ما

— المتأخر بآية المتقدم بأن ازال تلك الآية وما أراد إعادتها فإنه يؤيده بمثلها او بخير منها في اثبات الرسالة . ويمكن ان يفسر لفظ النسخ على هذا الرأي بما ورد في المأثور من انه بمعنى الاثبات في الكتاب ويكون معنى الآية عليه ما نثبت من آية في الكتاب الذي هو القرآن خطا ومعنى فيعرفها الناس اوننسها الناس بترك الاعلام بها فاننا نأتي بخير منها أو مثلها في تأييد رسلنا . وبذلك يبطل قول بعض الكافرين ٢١ : ٥ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) وما في معناه مما حكاه الله تعالى عن المعاندين

جاء به ونترك البعض الآخر اذ لو فعلنا ذلك لكنا مكذبين له (ص) في ذلك البعض وذلك كفر في دين الله وبه كما قال تعالى «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض — بناء عليه يجوز ان يكون بعض احكام السنة خيراً من الحكم المنسوخ الذي كان في القرآن — واذا كان المراد بالخيرية ان يأتي بخير منها أي ببدل ذي مصلحة راجحة فلا قباحة في أن يقوم الحديث النبوي بدلا عن لفظ آية وحكمها معا

أما الوصية للوالدين والأقربين الوارثين فالجمهور يقولون ان الناسخ لها إنما هي آية المواريث والسنة مبينة وشارحة لذلك الناسخ. هذا بعض أجوبتهم وهومانع ودافع لكل ايراد ، قلت الايراد الصحيح في هذه الآية انما يتوجه على مذهب حضرة الدكتور الفاضل لأنه إذا منع النسخ في القرآن مطلقا به أو بالسنة لزمه ان الواجب للوالدين الوصية والنصيب الذي فرضه الله لكل واحد منهما في آية المواريث — وحينئذ يعترض عليه ويقال إنه اما أن يكون ما فرضه لهما وافيا بحقهما أو ليس بواف بحقهما وعلى كل تقدير اما ان يلزم النقص أو الظلم (* لا يقال ان الوصية انما ندب اليها ولم يوجبها لأنا نقول ان الاعتراض وارد على الاستحباب أيضا على ان في قوله تعالى« كتب عليكم» في أول الآية وقوله« حقا على المتقين » في آخرها دلالة ظاهرة لا يعتريها شك ونص في الوجوب فالاعتراضات الواردة الصحيحة انما ترد على مذهب الفاضل الدكتور

قال الفاضل وأين البدل للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله عشر رضعات معلومات يحرمن — الذي نسخ على زعمهم بقوله — خمس رضعات معلومات ثم نسخ لفظ هذا الاخير ولم يأت بدله ؟ قلت والجواب من وجوه وهو يختلف باختلاف مشارب الناس في هذا الموضع

(الأول) من لم يشترط التواتر في نقل القرآن وهؤلاء يقولون ان آية(؟)الخمس

*) ورد عن علي وابن عباس وهما أعلم السلف بالتفسير ان الآية خاصة بمن لم يرث ويمكن للدكتور ان يقول به وهو ليس ممن ينكر التخصص وان سمي نسخا. على انه يمكن منع استلزام الظلم والنقص بجعل الوصية خاصة من وجه آخر كأن يكون بعض الورثة فقيرا عاجزا عن الكسب، وبعضهم غنيا فيوصي للعاجز الفقير

الرضعات المعلومات هي آية(؟) من القرآن الكريم وهي محفوظة بهذه الرواية ونحوها ولها عندهم حكم القرآن المتلو ومن يقول بذلك فلا يرد عليه اعتراض حضرة الدكتور الفاضل ههنا من أصله فان كان يرد عليهم اعتراضات أخرى فانهم قد أجابوا عنها.

(الثاني) قول من يقول ان القرآن لا يثبت إلا بالتواتر وناسخه لايكون الا قرآناً أو سنة كذلك

(الثالث) انا نختار ان نقول لا شك ان العشر الرضعات قد ثبت انهن كن فيما نزل من القرآن وثبت انهن نسخن ونقل المنسوخ لا يشترط فيه التواتر لان اشتراط التواتر في القرآن انما التزمه من التزمه لان من خالف الاجماع يكون شاذا مخالفا لما نقله جميع الصحابة من حصرهم القرآن المحكم في هذا المصحف الموجود بين أيدينا واذا صرح وقيد الناقل ان ذلك قد نسخ لفظه أو وحكمه فلا شك ان ذلك يخرجه عن الشذوذ فلا يكون مخالفا للمتفق عليه من القرآن لجواز ان يكون الصحابة (رض) تركوا نقله لكونه منسوخا لفظا

بقي البحث في الناسخ وهو الخمس المعلومات ثم هذه الخمس المعلومات هل هن قرآن محكم باق لفظه وحكمه أم ليس هن بقرآن وقد قدمنا قول من لم يشترط التواتر وبعض من يشترط التواتر يقبل الحكم ولا يقبل القرآنية فمن يقول ان القرآنية المنقولة بنقل الواحد ونحوه إذا خالفت المصحف كانت شاذة فمخالفة الجمهور اسقطت القرآنية لاحتمال ان يكون الراوي الواحد ونحوه نقل ما كان منسوخا لفظه ولم يعلم بنسخ لفظه أو انه ظن ان ذلك قرآن اما الحكم المتضمنة له تلك الرواية فهو غير معارض بنقل الجمهور للقرآن و باب الحكم غير باب اللفظ والقرآنية فمن هنا قالوا بقبول الحكم ورد القرآنية فتفكر

وآية عدد الرضعات المرفوعة المنسوخة هي ليست في الحقيقة مما يصح ان يورد عليها ماأورده الفاضل يعرف ذلك بجمع اطراف الرواية ودونك ذلك - روي عن عائشة (رض) انها قالت كان فيما نزل من القرآن «عشر رضعات معلومات يحرمن» ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن رواه مسلم وأبو داود والنسائي - وفي لفظ قالت وهي تذكر الذي يحرم من الرضاعة نزل

في القرآن عشر رضعات معلومات ثم نزل أيضا خمس معلومات رواه مسلم وفي لفظ قالت نزل في القرآن عشر رضعات معلومات فنسخ من ذلك خمس رضعات الى خمس رضعات معلومات فتوفي رسول الله (ص) والامر على ذلك رواه الترمذي - وفي لفظ كان فيما أنزل الله عزوجل من القرآن ثم سقط لايحرم الا عشر رضعات أو خمس معلومات رواه ابن ماجه. والناظر يرى ان الصديقة (رض) لم تذكر لا الناسخ ولا المنسوخ بلفظه ولا سياقه ولم تبين محله نعم روايتها ظاهرة في ان عدد الرضعات كان قرآنا في الجملة و بعضها ظاهرة في ان العشر نسخن بالخمس ورواية الترمذي هي صحيحة ولا تبين دلالتها على ان الخمس التي هي بدل عن العشر انها كانت قرآنا ولا تدل على ان النسخ وقع بالخمس أيضا و بناء على ماتقدم فقولها (رض) فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن أي ان بعض من لم يبلغه النسخ كان يقرأ ذلك وهو مع شذوذه عما نقل الجمهور لم يثبت قراءته في المصحف ولعله رجع عن ذلك ثم يحتمل كلامها ان من بقي يقرأ كان يقرأ العشر والخمس معا أو انه كان يقرأ الخمس فقط ظانا ان ذلك لم ينسخ وهذا الاحتمال الاخير بعيد. فهذه احتمالات . وأما حديث ابن ماجه عنها فظاهر ان العشر أو الخمس انما هو آية واحدة ودلت هذه الرواية على ان الكل رفع - وبناء على ذلك ان من لازم نسخ العشر ان تنسخ الخمس معها وترفع برفعها لكونها جزءا من آية ولأن الخمس انماهن معطوفات على العامل في العشر فهي منسوخة بالتبع لعدم جواز بقاء لفظها بعد نسخ اول الآية والابقيت غير معلومة المعنى ومثل ذلك لا يجوز بقاؤه اووجوده في القرآن فاندفع ما اورده الدكتور الفاضل - فقوله في حديث مسلم رح ثم نسخن بخمس معلومات أي بقاء حكم جزء الآية المرفوع لفظه بالتبع وهي الخمس المعلومات ناسخ للعشر المقصود رفعها ونسخ حكمها بالاصالة والذات - و بقي بعض من لم يبلغه رفعها ونسخها يقرأها هكذا : لا يحرم الا عشر رضعات اوخمس معلومات

قلت وقوله تعالى (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم) يصح ان تقول انه بدل عن هذا المرفوع ورواية ام المؤمنين (رض) قد اثبتت ان حكم العدد محكم فتحريم الامهات المرضعات في هذه الآية وارد في رضاعة معلومة وهي الخمس الرضعات وعائشة (رض)

يتعين ان تكون سمعت من رسول الله (ص) ان حكم الخمس باق وقد روت في ذلك أيضا أمره (ص) سهلة امرأة أبي حذيفة ان ترضع سالما خمس رضعات ومن يشترط الخمس الرضعات فهو يقول ان هذا كله منسوخ حكمه ولفظه وناسخ ذلك الاطلاق في قوله تعالى «وامهاتكم اللاتي ارضعنكم» فما وصل الجوف هو الرضاع المحرم ومنهم من قال ان الله اطلق تحريم المرضعة والمرجع في ذلك الى السنة وقد وردان المصة والمصتين والرضعة والرضعتين والإملاجة والإملاجتين لاتحرم وحديث عائشة (رض) فيه إناطة التحريم بخمس معلومات فوجب المرجع اليه فيما نعتقد وقدمناتوجيهه، بذلك اندفع اعتراض الدكتور الفاضل ايضا وثبت ان الناسخ لذلك هو القرآن مفسرا المراد منه بالسنة أو بما له حكم السنة وظهر بما قدمناه ايضا النكتة في نسخ لفظ الخمس والله اعلم

وأما آية الرجم فقد قدمنا الجواب عن رفع لفظها وحكمته فلا نعيده واذ قد فرغنا عن جواب كل ايرادات الفاضل في مسئلة النسخ فلنشرع في الجواب عما اورده من الشبهات على وجوب العمل باحاديث الآحاد الصحاح فنقول (لها بقية)

الانقلاب العثماني الميمون

بخلع عبد الحميد

(رأي جرائد مسلمي الهند فيه)

أرسل الينا صديقنا مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة «وطن» الغراء التي تصدر باللغة الاوردية في «لاهور» مقالتين في الانقلاب احدهما من ذمه نشرها في فاتحة أول عدد صدر من جريدته بعد العلم بالانقلاب الاخير وخلع عبد الحميد ثم ترجمها بالعربية والثانية نشرت في جريدة «... ابزرور» باللغة الانكليزية وسألنا رأينا فيهما فنحن ننشرهما ثم نبدي رأينا فيهما وهذه هي الاولى ننشرها مع إصلاح قليل لبعض الألفاظ بحدد المعنى ولا يضيع منه شيئا (وعنوانها الانقلاب المشوم في الدولة العلية)

لقد طير البرق الينا اليوم النبأ المشوم الذي فتت الاكباد، وألبس القلوب ثوب

الحداد ، وقد ساد الاسف بمجرد سماعه على العالم الاسلامي في الهنـد وسائر اقطار المعمور، ومن التألم الناشيء منه تنفثت الصدور ، وذلك النبأ العظيم الذي آلم العالم الاسلامي بأسره هو نبأ عزل جلالة السلطان عبد الحميد الثاني عن عرش الخلافة والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الامة اجماعا على عزله ولا ادري هل انعزل جلالته من عند نفسه او اعتزلته جمعية الاتحاد والترقي التي كانت عند اول ظهوره في بدء احياء الدستور العثماني اخيراً مظهرة عزمها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون اعضائها من الناقمين من جلالته اوالخائفين من ذاته على الدستور – ولكن علمنا بعد صدور الارادة الشاهانية باعلان الدستور وانقلاب الوزارة وتفويض مسند الصدارة الى سماحتلو(؟) كامل باشا الصدر الاسبق ان المعتدلين والعقلاء من حزب تركيا الفتاة لا يرون لزوم عزل جلالة عبد الحميد بعد ان صار محبا للدستور وحلف على حفظه وصرح بعزمه على تقوية الحزب المذكور لا سيما الجمعية الاتحاد والترقي التي لعبت دورا مهما في ملعب احياء الدستور وترقية البلاد حتى صار جلالته لا يبرم امراً ولا يصدر ارادة من غير استشارة الجمعية و يطيع لها في كل الامور وقبل صدارة شرف الجمعية وفاه بها علنا . وقد مال بكليته الى الجمعية حتى عاداه حزب الاحرار من تركيا الفتاة وغيره بالتخلف عن فرائض الملك الدستوري بوضعه نفسه تحت يد جماعة غير مسئولة عن صلاح البلاد والعباد و بعد ما ترك استبداده بالحكومة قـد وقع نفسه تحت نير الاستبداد الاشأم والاشر من الاستبداد الاول ولكن كل هذه الملاينة والانقياد لم يجد لجلالته نفعا وصارت الجمعية تلهو وتلعب به كما تلعب الهرة بالفارة التي تريد افتراسها – وقد أخذت الجمعية تمهد السبيل لعزله فأبعدت عساكر الاستانة وارسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية العساكر الموالية للدستور التي جاءت بها من سلانيك وغيرها ، وطلبت من جلالة السلطان عبد الحميد ان يرضى بوضع فيلق الحرس الهمايوني ايضا تحت أمرة نظارة الحربية وقد ردجلالته هذا الطلب غير مرة ولكن لما رأى الجمعية مصرة على ذلك اجاب طلبها (وان كانت الاجابة خطأً – كما ظهر الآن) لان جلالته اراد ان يبرهن للعالم(أصالة) وللجمعية تبعا حسن نيته وميله الى جهة الدستور

ان جمعية الاتحاد والترقي كانت لا تزال تعتمد على الجيش في حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بابعاد العساكر الموالية للدستور الى الولايات وان كانت نار الفتن الداخلية متأججة في جميع الجهات والضرورة داعية لارسال العساكر الى الخارج كي يمكن اخمادها واعادة النظام الى البلاد - ولما اراد الصدر الاسبق والرجل المحنك كامل باشا استعادة النظام العسكري والطاعة في الجيش امتنعت الجمعية عن ذلك واخذت تعرقل مساعي الصدر الممدوح وحكومته في اصلاح المملكة الداخلي ظنا منها ان خروج الجيش من يد الجمعية يضعف قوتها ويحرج مركزها ويكون خطراً على الدستور - لا قدر الله- وصارت الجمعية تأخذ على مجاري أمور الحكومة بالقوة القاهرة كأنها حكومة في حكومة بل وفوقها معتمدة على الجيش وقد شوهت الدستور بسيطرتها على الحكومة ومجلس الامة حتى انقسم حزب تركيا الفتاة الى حزبين حزب الجمعية وحزب الاحرار وماغلب حزب الجمعية بفضل الجيش وكثرة اعضائها في مجلس الامة وانهزم حزب الاحرار شر هزيمة في عدة مواضع اندفع في انتقاد اعمال الجمعية بصدق اللهجة وكشف الغطاء عن نيتها المشوهة للدستور وانتشر بغض الجمعية بين الانام بعد ان كانوا محبين لها لهجين بشكرها في اعادة الدستور وهاج اهالي الاستانة وعساكر دار الخلافة مشهرين سيف عدائهم في وجه الجمعية وقلبوا لها ظهر المجن - وفر جميع انصار الجمعية من اعضاء مجلس الامة تاركين مراكزهم في الاستانة الى مقر مركز الجمعية في سلانيك - واخذت الجمعية تجند الجنود لكبح جماح الخارجين عليها والباغين بدعوى المحافظة على الدستور واخيراً قد فازت الجمعية على مخالفيها وأجرت الاحكام العسكرية في دار الخلافة واخذت تبحث عن الذين سعوا في محو الدستور واعادة الحكم المطلق (بزعمها)

وكلما ننظر في خلال هذه الحادثة المؤلمة من أولها إلى آخرها نجد جلالة السلطان عبد الحميد محافظا على الدستور ومواليا للملة -- والوطن -- لم يتعرض لمجلس الامة قط بل صرح في مثل هذه الحالة الحرجة أيضا عند تعيينه لعلي كمال بك (كذا) صدرا لمجلس الامة ان مستقبل البلاد لا يقوم الا بالمحافظة على الدستور ، وهذا دليل بين وبرهان عظيم على كون جلالته محبا للدستور -- ومحافظا عليه بارا

بيمينه مجتنبا اراقة دماء الابرياء ونرى المبعوثين أوحزب تركيا الفتاة تائهين في تيه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والمملكة باسراعهم في عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم في غوائل الأمور وخاصة عاقبة مثل ذلك الفعل القبيح — لانهم لو تأملوا بحوادث انقلاب السلطنة الأخيرة لوجدوا انه لم يكن لجلالة عبد الحميد يد فيها لأنه كان قادرا على ان لايسمح بابعاد حرسه الخاص قبل أسبوعين من تلك الكارثة أو جمع عدد عظيم من العساكر لحفظ مركزه — وعلى الأقل — حض العساكر الموجودة في الاستانة الذين بغوا وطغوا على الجمعية (واغرائهم) بالثبات والاستقلال في الحرب وجنود قصره على عدم قبول طاعة المهاجمين من غير مدافعة — بل واسلامهم للاعداء — كما صرح ضباطهم عند التسليم «انا نسلم أسلحتنا بأمر من جلالة السلطان لأنه أبى إراقة الدماء وقال لنا ان المهاجمين أيضا من أولاده وهو لا يرضى ان يصيبهم مكروه» وغيرهذا كان من الممكن لجلالته ان يأخذ لنفسه حماية أقوى دولة من الدول الأجنبية — ولكنه لم يفعل كلّ ذلك بل سلم نفسه للملة وأثبت للملأ انه محب مخلص للامة والوطن ولا يريد محو الدستور أبداً واراقة قطرة من دم في سبيل حفظ مركزه على طريق الواجب أيضا

فكان من واجبات الجمعية وحزب تركيا الفتاة ان يحترم عواطف ذلك السلطان الشفيق والسياسي المحنك الذي عند قبضه على صولجان الملك كانت السلطنة في أسوء الحال من الافلاس — وعدم قوة الحربية — وخلل نظام الداخلي — وهجمات الأعداء الخارجيّ — وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم الحديثة منقسمة على نفسها أي انقسام أدّى ذلك الانقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها — فشمر على ساق الجد وقوى مركزها بين الدول وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتبارا ماليا في أسواق أوربا موازيا لاعتبار أقوى الدول في العالم — ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة وأكمل تسليحه بأحدث الآلات — حتى صار الجيش نفسه اليوم عليه بعد ان كان له ، وكلّ فضل الجيش في التربية والعدة والعدد من بركات عبد الحميد لا غير فانظر يا أيها القارئ كيف انقلب الحال ! ! سعى في انتشار التعليم والعلوم الحديثة في البلاد وأقلع صدأ الجهل عن

مرآة قلوب العباد ، الى ان صاروا يفهمون معنى الوطنية والاتفاق والاتحاد ، فالذين علمهم الوطنية والاتحاد صاروا اليوم يرمونه بعدم محبة الوطن ومخالفة الدستور ان هذا لشيء يراد

قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجد و يجتهد وراء سعادة الامة والملة وعمل اعمالا اثمرت رفاه البلاد والسلطنة : عمر الطرق و بنى السكك الحديدية واجرى الترع والقنوات واخصب المفاوز والقفار ، وأوصل الاقطار بالاقطار ، وحفظ السلطنة من الضياع امام اعداء اشداء حتى أقر العدو والصديق انه من أمهر السياسيين في السياسة وداهية العصر في الدهاء وفاز في كل المواقع السياسية المشهورة بهمته الشماء غير مضيع نفسه ومضعف مركزه وكان في كل زمان عاملا نشيطا وسلطانا حازما لا يعرف الملل ولا يعتريه الكلل - كان من عادته ان يعمل ثماني عشرة ساعة في كل يوم و يشتغل في مهام السلطنة كأدنى خادم للملك والملة ، لم يكن له شغف بالراحة ولا كان يعرف الاستراحة فبعد ما عانى من المشاق ماعانى سوعمل لصلاح البلاد ماعمل لما رأى ان غراسه أينعت وأثمرت ، والملة لحكم الدستوري اشتاقت ، اعطاها هذه النعمة مرتاح البال وصار يغذيهم بلبان الافضال يقوم باقامتهم ويقعد باقعادهم كأنه ترك حمل القوم على غاربهم ليظهروا استعدادهم ومعارفهم عادت الامة عليه ورمته بالسعي في اعادة الحكم المطلق من غير بينة ولا برهان حتى اذا لم تجد مسوغا لتجريحه استعانت بفتوى الشرع من شيخ الاسلام وصوبت اليه سهام الملام ، وأنزلته من عرش آبائه الكرام ، وهو في هذا الحال أيضا راض من الامة غير منكسر البال بما فعلت به لانه يعرف ان القوم مخطئون وهم لا محالة يوما على صنعهم سيندمون .

فارحم الله بلطفك هذه الامة الخاطئة التي كفرت بنعمتك الجزيلة ولم تعرف قدر ذلك السلطان الجليل الذي كان خير سلطان لها في مثل هذه الحالة الحرجة والموقع الصعب وأهدها اللهم بجاه نبيك ان تكافي سيئتها بحسنة إعادة السلطان عبد الحميد على سرير الملك وان لم تفعل ذلك فتحفظ حياته وتحترمه احتراما يليق به وتنتفع من آرائه وتجاربه وحنكته من حيث هو مشير مخلص خبير في نظم المملكة وترقية السلطنة ان لم تنتفع به من حيث سلطان قابض على زمام الملك وكن يا مولانا له

وخلفه وأمته خير نصير انك على كل شيء قدير و بالاجابة جدير

حضرة الرصيف الفاضل :

بعد السلام والاحترام نرسل اليكم اليوم مقالتنا الافتتاحية التي سطرناها في جريدتنا في أمر عزل السلطان عبد الحميد. ومعهما مقالة أخرى المنشورة في جريدة أوبزرور - وغرضنا ان تنشروهما في جريدتكم الغراء لتعلم الامة العثمانية بأفكار المسلمين الهنديين في ذلك الباب وان كان ما كتبناه عن عدم العلم بالاحوال الموجودة أو خلافا للوقائع فلكم ان تفندوا أقوالنا لتكون على بصيرة في المستقبل فيما نكتب بأمور الدولة العلية ولكم الفضل هذا واقبلوا فائق احتراماتي افندم - ودمتم

٦ مايو سنة ١٩٠٩ — كاتبه المخلص محمد إنشاء الله

محرر ومدير جريدة « وطن »

(لاهور - بنجاب) الهند

(المنار) وهذه ترجمة جريدة ابزرور وهي مفتتحة ببيتين لشكسبير شاعر الانكليز في مصرع يوليوس قيصر الروماني . قال

خلع السلطان عبد الحميد

لقد خلع السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني سلطان تركيا وخليفة الاسلام وأمير المؤمنين ونودي بمن يخلفه . ان هذا الحادث المحفوف بأعظم الاخطار الممكنة سيؤثر تأثيرا مزعجا في العواطف الاسلامية في العالم بأسره ومن شأنه أن يؤدي الى قلق عظيم في جميع الممالك الاسلامية من النيجر في أقصى الغرب الى الصين في أقصى الشرق

ان الزمن القصير الذي مضى على هذا الحادث لا يبيح لنا الحكم بمقدار تأثير خلع عبد الحميد في السياسة العثمانية ومستقبل الاسلام فقد يكون فيه خيرا لتركيا وقد يكون بداية القضاء عليها ولكننا نعلم علم اليقين ان خلعه قد ذهب من مرسح العالم السياسي بشخص مفرد كان له نفوذ عظيم في تكييف التاريخ الأوربي مدة ثلاثين

سنة وقبض في راحتيه على مفاتيح الاسرار الدولية في الغرب وكان احسانه نقل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحسدهم و بأسهم. وكان حسن تبصره في مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على انقاذ تركيا من الوقوع في أيدي جاراتها القوية الطاعة. اذ لا يخفى ان الدولة العثمانية انما فقدت بلغاريا والبوسنه والهرسك على عهد الحكومة الدستورية (؟) وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطيرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويعترف بأن الفضل في سلامة المملكة من الفوضى وتحول الاتحاد الأوربي عليها عائد الى حنكته وحكمته فانه لم يسبق لملك آخر سواه من المتقدمين أو المتأخرين ان لاقى مالاقاه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للفتن المرتبة والبلاغات الأخيرة الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلي عنه غبار تلك الحوادث ظافرا فائزا بفضل حكمته وحنكته وهو الآن قد ترك العرش في ظروف محزنة مفجعة بعد أن قضى حياته في التعب والعناء تارة في صفاء وطورا في شقاء وهو في الحالتين قد امتاز بحسن تقديره للواجب الشريف والدأب على العمل لسعادة مملكته

ان التاريخ لم يرو لنا أنكى من هذه الحادثة وأكثر مفاجأة من هذه الفاجعة التي رأينا فيها سلطان الامة الجليل والخليفة الشيخ الذي طالما تولى الأمور بيد قادرة وكانت ارادته نافذة في أمته وكان عاملا نشيطا لرقي وتقدم شعب متأخر — تلك الحالة التي رأيناه فيها يهبط من علياء مجده ومكانته على أثر ثورة قام بها « أبناؤه » وهو يتوسل اليهم أن يبقوا على حياته وحياة أولاده

ويندر أن يأتينا التاريخ برجل حامت حوله الآراء المختلفة كما حامت حول سلطان تركيا المخلوع فقد نادوا به منقذا لبلاده كما قالوا انه أفسد قومه. وأطروه فقالوا انه موجد الدستور العثماني ومانحه وأهانوه فقالوا انه أشد خصوم الدستور. وفرحوا به فقالوا انه الذي رفع الامة المتأخرة وأحياها من العدم ثم أساؤا اليه فقالوا انه منبع الانحطاط ومصدر تعاسة الامة العثمانية. جعلوه عنوان المفاخرة برجل تمكن بدهائه وحكمته من رد مساعي أعداء وطنه. وزعموا أنه ظالم مستبد

ضعيف العقل لا هم له إلا ترويج مصلحته الخاصة . على أن خصومه وأعوانه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وفوزه في افساد مساعي الاعداء الذين أحاطوا به من كل جانب وحبه الذي لا ينكر للاسلام وجميع ماله علاقة به وانما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات في شخصيته وأعماله يثني عليه أو يقضي بعدل على الذين دسوا الدسائس لخلعه

على ان الدور الاخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فانه منع سفك الدماء ووعد ان لا يهجر يلدبز ورضي بالخلع المقدر له من أمته ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له ان يقضي بقية حياته مع أولاده في القصر الذي ولد فيه على انهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجينا في بلاده محروما من جميع مظاهر الابهة معرضا لمعاملة مكدرة لرجل حساس نظيره وهو مع كل ذلك قد تصرف بأنفته المعهودة وصبره المعروف الذي يليق أن يفاخر به الهيكل العثماني والملك الكبير والرجل الذي صح اسلامه

لقد قال بورك « يالها من ثورة » ونحن نقول أي قلب لا يتأثر اذ يتأمل في ارتفاع عبد الحميد الى مستوى تزيغ فيه الابصار ثم سقوطه الفجائي من كان يظن وهو ذاهب يوم الجمعة الفائت الى حفلة السلاملك محاطا بالهتاف والدعاء ان مثل هذه النكبة تحل به بعد يومين من أمة حوت كثيرا من الشجعان والاشراف والابطال

لقد كنا نظن ان عشرة آلاف حسام بل عشرة ملايين حسام تجرد من اغمادها لتنتقم له من نظرة احتقار أو أقل اهانة

ولكن قضت الأقدار غير ذلك ونقل عبد الحميد ليقضي بقية أيام حياته في قصر الاتيني الذي كان مسكنا لاحد قواده اه

﴿جواب المنار﴾

كنا نعلم ان الجرائد الهندية تطري السلطان عبد الحميد وتنوه به ولكن لم يكن يخطر لنا ببال انها تجهل احوال الدولة العثمانية في عهده جهلا مطلقا بحيث لا تدري حقيقة شيء منها ألبتة كما ظهر لنا من هاتين المقالتين

كنا نظن ان اصحاب هذه الجرائد يعلمون بعض الحقائق عن الدولة وسلطانها من الجرائد الاوربية التي لم يتمكن عبد الحميد من استئجار ها لمدحه، وأنهم يكتمون هذه السيئات و يذيعون بعض أماديح الجرائد العثمانية التي كانت مكرهة على المدح بالباطل و بعض الجرائد الأوربية والمصرية المستأجرة أو المخطئة في اجتهادها أو المتزلفة الطامعة بنوال ذلك السلطان الذي يعطي العطاء الجم لمن يواتيه و يسعى الى هلاك من يناويه

وكنا نلتمس العذر لمن نحسن الظن فيهم ونعتقد حسن نيتهم كصديقنا صاحب جريدة «وطن» بأنهم لا يحبون ان يبينوا الحقيقة كما هي لئلا يضعف تعلق مسلمي الهند بالدولة العلية التي يودّون كأهلها وجميع المسلمين الذين سلط عليهم الاجانب لو تكون أقوى الدول وأعزها وان تبقى صلتهم بها قوية شديدة كما هي سياسة جرائد مسلمي مصر سواء منهم من كان يستفيد من عبد الحميد و يطمع في المزيد ومن ليس كذلك

كنا نعتقد مع التماس هذا العذر ان مدح الجرائد الاسلامية في مصر والهند لعبد الحميد والدفاع عنه ضارّ بالدولة سواء منه ما كان بحسن نية وما كان عن طمع في ماله أو رتبه وأوسمته لأن ذلك يجعل قلوب الملايين من المسلمين متعلقة بشخصه وهذا شيء يضر (لو كان سلطانا مصلحا فما بالك وهو سلطان مفسد مخرّب) لأنه يجب أن يكون التعلق بالدولة لا بالشخص ولأن في كل قوة لعبد الحميد إضعافا للأمة العثمانية وللدولة العلية اذ اتخذ الأمة عدوة له وجعل الدولة صوراً متحركة في يده اذا حاول أحد الوزراء او المشيرين أو الولاة أو القضاة فمن دونهم ان يعمل عملا ما مستقلا فيها بحسب الشرع والقانون بتره من جسم الحكومة بترا، وكان عاقبة أمره خسرا، فأي سلب للاستقلال واضعاف للحكومة يكون شراً من هذا

ومن الشواهد على ذلك ما حدثني به احمد مختار باشا الغازي غير مرة من أنه حاول جهده ان يقنع عبد الحميد بجعل القضاء مستقلا دون السياسة والإدارة ليأمن الناس على حقوقهم وانفسهم واستعان على ذلك ببعض كبراء الدولة فكان السلطان يغضب لهذا الاقتراح ويرفضه أشد الرفض، وهل تقوم للدول قائمة أو ترقى الامم بغير قضاء مستقل ؟

وكنا نعتقدان ذلك المدح الذي غر المسلمين بالسلطان ضار بأولئك المسلمين انفسهم ايضا لانصرافهم بهعن استعدادهم واتكالهم على من لا ينفعهم وقد كتبت في مقالة نشرت في جزء المنار الذي صدر في ١٧ المحرم سنة ١٣١٧ ما نصه :

« ان أمام المصريين وسائر المسلمين سداً منيعا من الوهم يحول بينهم وبين السير في طريق الترقي. فاذا استطاعوا ان يَظْهَروه او ينقبوه ــ ولا أقول ان يدكوه ــ يتسنى لهم الايجاف والايضاع في ذلك المنهاج الواضح ، والمهيع الواسع ، وان ذلك السد هو الاعتماد على دولهم وحكوماتهم التي امست أغلالا في اعناقهم وسلاسل في أيديهم وقيوداً في أرجلهم وغشاوة على ابصارهم ووقرا في أسماعهم ورينا على قلوبهم ، وكل ما نزل بالمسلمين من بلاء فانما نزل من سماء عظمتهم واستبدادهم ، وان تعجب فعجب قول من ليس للدولة العثمانية في بلادهم أمر ولا نهي ولا نفوذ ولا سلطان (١) « ان حياتنا بين يدي المابين وان السعادة ستهبط علينا من أفق الباب العالي » وهم يعلمون ان البلاد التي تحت جناح المابين ونفوذ الباب العالي تنقص من اطرافها وتمزق أهلها كل ممزق ولا ينال تلك البلاد وأهلها من المابين والباب العالي الا الاعتراض على من مزق الاشلاء وشرب الدماء

« ماذا جني ويجنى أهل جاوه والهند ومصر من الظهور القولي في حب الدولة العثمانية ؟ لعمرك انهم لا يجنون الا الحنظل والزقوم فان هولاندا وانكلترا كلما آنستا منهم اليها ميلاً ، أوسمعتا منهم فيها قولاً ، تزيدان عليهم الضغط والاضطهاد ، والقهر والاستبداد ، أولا يرون ان الدولة لا ترجع اليهم قولاً ، ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً ،

« ولا أقول لهؤلاء المسلمين أبغضوا الدولة ولكني أقول اذا احببتموها فاكتموا حبها ولا ترجوا منها مالا ينال واعتمدوا في رقيكم على المعونة الالهية ثم على جدكم وكدكم وعلمكم وعملكم فان رأيتم من الدولة نهضة عملية فانهضوا معها ان كنتم صادقين ، كل عاشق يحـذر العذال والرقباء فكيف لا تحذرون ، ألم تعلموا ان الدولة لا ينالها من كثرة لغطكم بذكرها إلا مثلما ينالكم من الضغط الأوربي والاضطهاد

(١) كلمة قالتها في تلك الأيام جريدة يومية من جرائد المسلمين بمصر

« نعم ان السلطان يفرح ويسرّ من خضوعكم له ولهجكم بتمداحه ولكن تشترون فرح شخص وسروره بمصالح الحكم ومصالح الدولة ؟ ؟ أقول هذا وأنا أعتقد انه لباب النصح الذي يوجبه علينا ديننا وإخلاصنا لأمتنا ودولتنا ومن بين لنا بالبرهان اننا مخطئون فاننا نرجع الى رأيه ، وإذا كان القول صواباً فعلى إخواننا المسلمين أن يتدبروه وعلى جرائدهم ان ترجع صداه » والمنتظر من الجرائد الهندية التي تتفضل دائماً بترجمة مقالات المنار أن تنقله الى لغتها ليحيط به قراؤها علماً ؛ اه ما كتبناه منذ عشر سنين ولم تكن سيئات عبد الحميد قد ظهرت لنا جلية بل كنا نحسن الظن فيه وندافع عنه

ظهر في هذه الأيام من صدق رأينا أن التغني بمدح عبد الحميد كان مضرا بالدولة فانا نرى أصحاب بعض جرائد المسلمين ومن تلقح برأيها منهم يسيئون الظن اليوم بالأمة العثمانية وبحكومة الدولة كلها ويزعمون ان العثمانيين أحرارهم وجماهيرهم وعسكرهم ونوابهم كلهم مخطئون كافرون للنعمة جانون على الدولة وان عبد الحميد وحده هو المصيب وان استواءه على عرش السلطنة هو الذي يحفظ الدولة والاسلام وان سقوطه عنه خطر على الدولة والاسلام ! ! فيالله وللعقول كيف كان هذا السلطان مصلحا مرقيا للأمة والدولة وهي بعد ثلث قرن من إصلاحه لا تصلح ان تسوس البلاد وتحفظ كيان الدولة ولا تعرف قيمة من يقدر على ذلك ؟ وكيف تبقى دولة يتوقف بقاؤها على وجود شيخ هرم بلغ من الكبر عتياً ، لم يزدد فيه الاَّ كبراً وعتواً

كان من سوء تأثير إطراء الجرائد المصرية لعبد الحميد قريب مما كان في الهند ولما أعلن الدستور اجتمع جمهور عظيم من المصريين للاحتفال بهذا الطور الجديد للدولة العلية ومما كان في الاحتفال من العجائب أنه كان يصيح جمهور عظيم ليحي السلطان عبد الحميد ولتسقط تركيا الفتاة ! ! وما تركيا الفتاة إلا الأمة العثمانية الناهضة بالاصلاح والقائمة بأمر حكم الشورى الذي يعبر عنه بحكم الامة نفسها بنفسها . ما أضعف البشر الذين يوجد فيهم من يتخيل عبد الحميد في هذا العصر كما كان يتخيل قدماء المصريين فرعون الذين قال لهم « انا ربكم الاعلى » ثم قال لهم « ما علمت لكم من إله غيري » فأطاعوه وعبدوه كما عبد كثيرون غيره من الملوك

بعد هذا التمهيد العام أبين للرصيفين الفاضلين غلطهما فما كتبا بالتفصيل الا

ماكان من المدائح الشعرية لعبد الحميد وادعاء ان العالم الاسلامي بأسره يبكيه ويحزن لخلعه وحسبنا ان عالمنا الاسلامي العثماني بذلك سرورا لم يسر بمثله في حياته . وأبدأ بدعاوى صديقي صاحب جريدة وطن ثم اذكر ما انفرد به الآخر فأقول

يقول صديقنا الغيور ان عبد الحميد أثبت للعالم حبه للدستور واخلاصه له واستدل على ذلك بأمور (١) إعلانه الدستور عندطلبه من غيرسفك دم (٢) تصريحه بذلك عدة مرات (٣) عدم تعرضه لمجلس الأمة بسوء (٤) وضع حرسه تحت أمر نظارة الحربية واخراج حرسه وعساكر الاستانة منها ووضعها تحت حماية عسكر الدستور الذي جيء به من سلانيك وغيرها (٥) أمره أخيرا لحرسه بالتسليم لعسكر الدستور الذي دخل الاستانة عند ماأراد الاستيلاء على « يلدز » قال وكان قادرا على ان لايسمح بابعاد حرسه وعلى جمع جيش عظيم لحفظ مركزه وعلى حض العسكر الذي طغى و بغى على الجمعية على الحرب (٦) تركه طلب حماية أقوى دول أوربا و إنما ترك ذلك حبا في الدستور واخلاصا للمملكة والوطن !!!

ونقول انه لايصح من هذه الادلة شيء (١) فاعلانه الدستور لم يكن عن رضى واختيار بل فاجأه هذا الطلب المقرون بإنذاره الزحف على الاستانة بالجيوش والكتائب اذا لم يجب اليه فجمع مستشاريه وأعوانه الذين أفقر الدولة لإغنائهم وأذلها لإعزازهم ومن يرجع اليه عند المشكلات من غيرهم وهو سعيد باشا وطفقوا يأتمرون الليل بطوله فاجمعوا أمرهم في الصباح على ان المقاومة بالقوة غير مستطاعة فان عساكر حصون الاستانة متفقة مع عسكر سلانيك فهي تساعد ولا تقاوم بل قيل له ان دسائسهم متصلة بحرسه فصدق ذلك وناهيك باحتياطه وحذره وجبنه واستفتى شيخ الاسلام في عصيان عسكر سلانيك ليحاربهم باسم الدين و يوقع الفشل فيهم فقال له شيخ الاسلام لا يمكن الافتاء بعصيانهم وخروجهم على الخليفة لأنهم يطلبون منه أمرا مشروعا وهو جعل الحكم بالشورى كما أمر الله عز وجل . فلما لم يجد في قوس المقاومة منزعا أمر بالإجابة على كره وعزم على استعمال سلاح المكر والحيلة والكيد الذي فتك به بالدستور ورجاله أول مرة كما ظهر في الفتنة الاخيرة واضحا جليا كالشمس ليس دونها سحاب ولعل هذا قد علم الآن عند اخواننا الرصفاء في الهند فانهم قد كتبوا ما كتبوا عند ماعلموا بنبإ الانقلاب وقبل العلم بالاسباب

٢ — وأما أقواله وتصريحاته بحب الدستور فهي دعوى لا دليل عليها . ومثله إظهاره الرضا عن جمعية الاتحاد والترقي وكونه منها أو رئيسا وقد كان يستعمل هذه المصانعة والمراوغة والدهان في أيام جبروته وعنفوان استبداده وانا نعرف عنه من ذلك مالا نوذكره الان

٣ — وأما عدم تعرضه لمجلس الأمة فلم نفهم ماذا يعني به الكاتب. أيعني انه لم يرسل حرسه لقتل نواب الأمة أم ماذا يعني ؟ هل كان يمكن التعرض لهؤلاء النواب مباشرة وأقوى جند الدولة بحرسهم والاسطول معهظهير ؟ كلا ان هذا لم يكن ليأتيه من له مسكة من عقل أو إدراك لانه على فحش قبحه في أعين الامم والدول غير معيد للاستبداد مالم تسقط القوة الذي أوجدته فلذلك وجه عبد الحميد كيده وفكره لإسقاط جمعية الاتحاد والترقي بتنفير الأمة منها باسم الدين والى التفريق والشقاق بين الجيش ليضرب بما يستميله اليه منه مايبقى في جانبها وجانب الدستور وإن هلكت بهذه المكيدة الامة وسقطت الدولة

٤ — وأما مسألة تغيير حرسه واستبدال بعض عسكر الدستور بعسكر الاستانة فقد راوغ فيه مرارا ثم انفذ بالقوة ولم يكن من سبيل الى المقاومة فيه بعد ان شرعت الحربية في اعدام الذين يخالفون الاوامر العسكرية بحسب القانون مع علم الحرس وعبد الحميد ان الاسطول تابع للحكومة ولعسكر الدستور لا للمابين وانه يمكنه أن يدمر يلدز عليه وعلى حرسه تدميرا

٥ — وأما أمره لحرس يلدز بالتسليم عند ماوصل اليهم جيش الدستور بعد استيلائه على حصون الاستانة ومواقعها العسكرية بالقوة القاهرة فسببه يقينه بأن المقاومة في هذا الوقت تفضي الى تدمير يلدز بالمدافع بعدما كان من حصرها وقطع الماء والزاد والنور عنها، وفي ذلك ذهاب حياته العزيزة الذي جعل الدولة والامة حفاظا لها مدة ثلث قرن

٦ — واما دعواه انه كان يمكن ان ينال عبد الحميد حماية أقوى الدول الاجنبية ولكنه لم يفعل حبا في الدستور فنقول فيها ان هذا لم يكن في استطاعته لاسيما بعد ان يئس من الفوز والظفر بمكيدته الاخيرة

و ياليت شعري كيف يتصور زصفاؤنا في الهند ان يحارب الألوف من عسكر الاستانة

إخوانهم الذين جاؤا من سلانيك لتأييد الدستور اذا لم يكن السلطان هو المحرك لهم؟ خرجوا عن طاعة قائدهم وصاحوا في مواقع كثيرة : ليسقط الدستور وليعش السلطان وحاولوا قتل جميع اعضاء لجنة الاتحاد والترقي ، فعلى اي دعامة كانوا يستندون ؟وأية قوة كانوا يعززون ؟ أما أنه لو لم تظهر الدلائل الحسية القاطعة بعد ذلك على أن عبد الحميد كان هو المدبر لهذه الفتنة والمنفق عليها لكان العقل وحده حاكما بذلك

واذا كان عبد الحميد قدر على إفساد الجيش الذي جاءت به الجمعية عليها ودفعه للتنكيل بها و بالدستور فكيف كان يكون اندفاعه في مكيدته لو كان الحرس الذي رباه في حجر الرفاهة والدلال بقي عنده ؟ أفلا يدل هذا على ان الصواب هو مافعلته الجمعية من إخراج ذلك الحرس الفاسد (الذي لم يطع نظارة الحربية إلا بالقوة) من قصر هذا السلطان الذي مرد على الاستبداد حتى امتزج بلحمه ودمه وعصبه ؟ أليس هذا الدليل أصح من دليل صديقنا على كون الرضا باخراج ذلك الحرس كان خطأ

هذا هو القسم الأول من الكلام وهو ما يتعلق بالدفاع عن سيرة عبد الحميد في عصر الدستور وأما القسم الآخر منه وهو في سيرته قبل الدستور فيشتمل على عدة دعاوي لم يقترن شيء منها بدليل

١ — قال « انه أصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتباراً مالياً في أسواق أوربا موازيا لاعتبار أقوى الدول في العالم » ونقول ان هذه الدعوى أغرب ما كتبه الرصيف الصديق وانني لا أذكر ان أحداً من الذين كانوا يطرون عبد الحميد بالاكراه أو بالأجرة قال ذلك أو ما يقرب منه بل كانوا يطرونه بأمور أخرى لا تظهر مخالفتها للحس كهذه فقد أفسد عبد الحميد مالية الدولة حتى لم يعد لأحد من أوربا ولا من غيرها ذرة من الثقة بها ولم يعد أحد يقرض الدولة قرضا ما الا بضمان يستولي به على مورد من مواردها بالفعل حتى صارت موارد الدولة الأساسية في يد إدارة الديون العمومية وغيرها وبهذا صار لبعض الأمور المالية شيء من النظام. وحسبك انه لم يكن للدولة في هذه السنين ميزانية تجري عليها الحكومة بل كان عبد الحميد يغتال الملايين من الدخل و يسلط عمال الحكومة على الاستعاضة عن مرتباتهم التي لا يصل

اليهم منها إلا القليل بسلب الأمة ونهبها بشرط أن يجعل له كبارهم كالولاة والمتصرفين نصيبا مما ينهبون . وحسبك ان الحكومة قد عجزت الى الآن عن تقديم الميزانية إلى مجلس الأمة وفر موسيو لوران المالي العظيم الذي جاءت به الحكومة من فرنسا لينظم ماليتها متعجبا من الخلل الذي وجده معترفا بان إصلاحه من أشق الأمور حتى انه يكاد يكون متعذراً . نعم انه عمر بخراب مالية الدولة ماليته الشخصية فكنز الملايين في صناديق يلدز وفي مصارف أوربا وأمريكا وانفق الملايين على الشهوات والجواسيس وهو يعلم ان عسكر الدولة كان يموت جوعاً وعرياً حتى انهم كانوا يقتاتون في نجد ببذر الحنظل فقطع أمعاءهم والعياذ بالله

٢ – قال انه درّب الجيش على قواعد الحرب الحديثة . ونقول ان الدولة العثمانية هي دولة حربية بالطبع وكان السلطان محمود رحمه الله تعالى هو الذي بدأ بجعل نظام عسكريتها على الطراز الأوربي وقد سارت الجندية فيها على ناموس الارتقاء ولكن اعترضها من سوء سياسة عبد الحميد ما جعل سيرها بطيئا وعرضة لضروب من الخلل والفساد منه ما حل بدور الصناعة البحرية والعسكرية (الترسانة، والطوبخانة والباروتخانه) حتى رجعت القهقرى ولو سارت على سنة الترقي لاستغنينا بها عن شراء السلاح من أوربا بأثمان غالية كانت من وسائل سلب المابين للأموال المخصصة للعسكرية وكم ظهر في ذلك من الخيانات وهذا الضرب من الفساد يجعلنا عالة على أوربا في قوتنا الحربية (ومنها) مقاومته للتعليم العسكري في الاستانة حتى انه حاول غير مرة إبطال المدرسة الحربية التي زعبها بالجواسيس (ومنها) ترقية الضباط بالارادة السنية من غير استحقاق (ومنها) نفيه وإذلاله للضباط المتعلمين البارعين الخ مالا محل لتفصيله هنا . ولو كان المقربون منه جاروه على كل وساوسه في العسكرية لجعلها أثراً بعد عين ولكن نحمد الله تعالى ان مكننا من القضاء عليه قبل ان يقضي هو عليها

٣ – قال انه سعى في انتشار التعليم وبث العلوم الحديثة ونقول ايضا ان التعليم من ضروريات كل دولة وكل امة في هذا العصر وكان من مقتضى سنة الارتقاء ان نكون فيه مثل اليابان، إن لم نكن مثل الفرنسيس او الألمان، ولكن عبد الحميد حارب العلم في أمته ودولته اشد المحاربة حتى جعل اكثر مدارسها ملاعب أطفال (راجع ص ١١٠

و ١١ من منار هذه السنة) وأبطل امتحان طلاب العلوم الدينية فتركوا الطلب والاشتغال واعترفوا في جميع البلاد بعد إعلان الدستور وصدور الأمر بامتحانهم انهم عاجزون عن الامتحان فاعفاهم مجلس الأمة منه في هذا العام ليستعدوا له .
وقد علم العامة كالخاصة في جميع بلادالدولة أن العلم الديني والدينوي هوأكبر الجرائم في نظر السلطان عبد الحميد فصاروا يتحامونه وحدثت في السنين الأخيرة من حكمه المشئوم بدعة تفتيش الحكومة لبيوت الناس وأخذ الكتب منها ومعاقبة اصحابها فصار الناس يحرقون كتبهم بأيديهم ومنهم من دفنها في الأرض حتى أحرق في سورية عشرات الألوف من الاسفار القديمة والحديثة في سنة واحدة . فانظرما أشد حرص عبدالحميد على العلم وعنايته بنشره وماأكثر المجتهدين والمخترعين المكتشفين في أيامه !!!

وقد ألقيت خطبة في رحبة القشلة العسكرية ببيروت في أواخر رمضان الماضي بينت فيها كيف كان ظلام الجهل ممدودا على البلاد العثمانية وكيف كان الهدم واقعا في ذلك الظلام ببناء الدولة : معارفها وقضائها وادارتها وماليتها وعسكريتها ، و بناء الأمة : ثروتها وآدابها وأخلاقها . ولعلنا نراجع الذاكرة فنكتب ما تمليه علينا منه

٤ — قال انه « قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجد ويجتهد وراء سعادة المملكة والملة » والصواب انه اشقى المملكة شقاء لا نظير له واخواننا مسلمو الهند الذين يقولون هذا القول لم يروا ولم يختبروا ونحن نسمع باذاننا ونرى بأعيننا بل الشقاء وقع على رءوسنا واحاط بنا من كل جانب بسوء سياسته

٥ — قال انه عمر الطرق وبنى السكك الحديدية وحفر الترع والجداول والصواب أنه لم يفعل من ذلك شيئاً للأمة الاسكة حديد الحجاز التي حمله على الرضاء بها وسواسه الذي يخيفه من اقامة خلافة عربية بالحجاز . وما سمح به من امتيازات السكك الحديدية للاجانب فسببه انه كان من موارد ثروته لأنه كان لا يسمح بامتياز الا اذا اخذ لنفسه مبلغا عظيما من المال وكثيراً من سهام الشركة فقد كان يبيع مصالح المملكة بذلك بيعاولذلك كان يعطي هذه الشركات من الضمانة الكيلومترية مالا يعهد له نظير في مملكة أخرى . ونسأل صديقنا الكاتب ان يدلنا على مكان الترع والجداول التي احيابها الزراعة اين هي وماهي الثروة التي تجددت للفلاحين منها ؟؟

٦ — قال انه حفظ المملكة من الضياع . ونقول إنه اضاع بسوء سياسته ثلثها ولو بقي على عرش استبداده سنة أخرى لأضاع الولايات المكدونية الثلاثة فان جمعية الاتحاد والترقي ما عجلت بهذا الانقلاب قبل ان تتم عدته الا لعلمها علم اليقين أن الدول اتفقت على ذلك وانه لا عاصم منه الا الدستور . وكان كثير من السياسيين يقدرون ان الدولة لاتكاد تعيش مع ذلك الحكم اكثر من خمس سنين وأن سبب تأخر سقوطها هو تنازع الدول فيما بينهم . وقد سمعت كلمة من احمد مختار باشا الغازي اكبر مشيري الدولة وقواد جندها واعلمهم بحالها سمعتها منه مرات كثيرة في السنين الاخيرة من حكم عبد الحميد وهي اكبر شهادة نطق بها لسان وأيدتها وقائع الأحوال وقد صار نقلها عنه الان جائزاً فلعل اخواننا مسلمي الهند يعتبرون بها قال « لو اجتمعت أوربا واتفقت على أن تضر بالدولة والاسلام كما أضرّ بهما عبد الحميد لعجزت »

هذا ما نبين به خطأ الجريدتين بالايجاز ونزيد كلمة في الرد على ما انفرد به صاحب جريدة الابزرور اذ قال إن الدولة فقدت البلغار والبوسنه والهرسك على عهد الحكومة الدستورية . ونقول ان هذا غلط عظيم فان هذه الولايات قد ضاعت منا بحربنا الاخيرة لروسية وإنما كانت تلك الحرب برأي عبد الحميد ودسائسه ليشغل الامة عن الدستور ويتمكن من إبطاله وقد بذل مدحت باشا (رحمه الله تعالى) جهده في سبيل تلافيها فعجز ولا يقال انها كانت برأي مجلس الأمة الأول لما هو معلوم

وقال إن أعداءه شهدوا له بالدهاء والسياسة ونقول انا لا ننكر أن له دهاء ومراوغة في السياسة الخارجية كان يستعين عليها برشوة نساء السفراء أو اهدائهن الجواهر الثمينة ولكن نطلب من الكاتب أن يأتينا بشهادة لها قيمة من الاعداء او غير الاعداء بأن عبد الحميد رقى ثروة أمته ومالية دولته أو اجرى فيها العدل أو نشر العلم أو جرى على طريقة ميكادو اليابان

وقال لا ينكر حبه للاسلام . ونقول اما دين الاسلام نفسه فلم ير من ملوكه من عبث مثله بكتب الحديث والعقائد والفقه من منع بعضها وتحريف البعض الآخر ولو كان في غير عصر المطبوعات وكان جميع المسلمين تحت سلطته لما بعد عليه ان يطمع في تحريف القرآن وتغيير آيات الشورى ونحوها فيه . واما أهله فقد كان الاضطهاد

عليهم في دينهم شديداً من حيث لا يضطهد غيرهم كما كان الظلم أشد وطأة عليهم من غيرهم . نعم انه كان ولوعا بإحياء لقب الخلافة والحرص على تعظيم المسلمين الذين تحت سلطة الاجانب له لأجل ان تحترمه دولهم فلا تنغص عليه التمتع باستبداده

وأما ما ذكروا من كثرة عمله فهو على المبالغة فيه عمل ضارّ في الغالب لأنه نظر في رسائل الجواسيس الذين يشون ويمحلون برجال الأمة وقد قيل ان هذه الرسائل محفوظة كلها في « يلدز » وربما عجز واحد عن قراءتها في مثل المدة التي جلسها عبد الحميد على كرسي السلطنة . وأما زعمهم انه كان لا يحتفل باللذات فهو باطل فانه كان يشرب أجود الخمور وجمع مئات من الغواني الحسان للتمتع والغناء والعزف والرقص والتمثيل وغير ذلك

وليعلم اخواننا مسلمو الهند اننا لم نقل ما قلنا الا عن علم وخبرة وتأييد للمصلحة العامة بالحق والصدق اذ لسنا من الذين يتوسلون بالشر الى الخير و بالباطل الى الحق واننا لسنا من المتشيعين لجمعية الاتحاد والترقي التي كان لها الاثر العظيم في هذا الانقلاب الميمون فقد رأوا اننا جمعنا في الجزء الماضي من انتقاد المتقدين عليها مالم يجمعه كاتب

ونختم الرد بكلمة في الخطر على الدولة فان الكاتبين يخافون ان ينزل بالدولة الهلاك بعد عبد الحميد . ونحن نقول لاشك ان عبد الحميد كان يسير بالدولة الى الدمار والهلاك كما مرت الاشارة الى ذلك فان سقطت (لاقدر الله لها الا العلاء والارتقاء) فانما يكون هو الذي أسقطها وان نجت فانما تنجو بالدستور الذي هو آخر سهم في الكنانة

﴿ استغاثة أهل البيت الحرام * جميع بلاد الاسلام ﴾

جاءتنا الرسالة الآتية من صديقنا الغيور الاستاذ السيد عبدالله بن صالح الزواوي رئيس اللجنة العليا بمكة لجمع الاعانات لتعمير عين زبيده ونشر المعارف في الحرمين

الحمد لله وحده

جناب ذي القدر العلي والمفخر السني كريم الشيم علي الهمم حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم محرر المنار الاغر زاده الله مجداً وعلوا وقربا من ملك الملوك ودنوا بعد ابلاغ جزيل السلام وأداء مراسم التعظيم والاحترام نعرض انه لايخفى على انظاركم السليمة ماهو معلوم لدى جميع أهل هذا الدين القويم أعني ما لهذه البلدة السعيدة من خطارة

القدر وسمو المرتبه بكونها موضع بيت الله الملك الرحيم ومسقط رأس النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم منها ظهر الدين ونما حتى برز التمدن منه بأبدع الاشكال وانتشرت التعاليم وكثر العلماء حتى علوا الى أعلى ذروة الفضل والكمال كيف لا وهي تخت ملك الملوك ومقر بيته السعيد الذي يخضع تجاهه الملك والصعلوك وقد اغتصبت في الأزمان الغابرة حقوقها ولم يلتفت أحد من القائمين بادارة مصالحها من المتولين عليها الى ملاحظة دوام علوها ورقيها بنشر العلم والتعليم ومساعدة المعلمين والمتعلمين فلذلك قل فيها العلم وأهله وقلت الصنائع وعارفوها والآن بحمد الله تعالى تغير الحال وأملنا ان تعود الى أحسن مآل حيث ان القائمين بادارة مصالحها الآن أهل همة علية ونجدة وأريحية عرفوا الحق لاهله فقاموا باسترداد ذلك المجد وحضوا العلماء ووعدوهم بالمساعدة وأذنوا لهم بالكتابة الى إخوانهم المسلمين في استحصال كل وسيلة لترقية العلم والصنائع بانشاء المدارس والسعي في طلب المساعدة من أولي الغيرة والحمية في جميع أنحاء العالم ممن اتصف بصفة الاسلام لان هذه البلدة واجب لها الحق على جميع المسلمين الخاص منهم والعام وهذه العلوم والمعارف هي غذاء الأرواح والسبب في اجتلاب الطاعة والخيرات والانقياد والفوز بجميع المكارم والارباح كما ان الماء للسكان والحجاج وكل ذي روح هو قوام الاشباح وقد قل وجوده في هذه السنين بسبب الخراب الواقع في العين المنسوبة إلى السيدة زبيدة حتى صار الناس لا يشكون سوى قلته وضاعت مصالح أكثر الفقراء بسببه بحيث لا يحملون الاهمه ونسيت بقية اتعاب المعيشة في جنب هذا التعب العظيم خصوصا والخراب في قنوات العين جسيم والحاصل ان جلب الماء وتصليح قنواته وارجاع مجد هذه البلدة وترقية سكانها بالعلوم ومعرفة الصنائع والمعارف كل ذلك يحتاج الى المال الخطير وأيدي أهل هذه البلاد خالية من القليل منه والكثير ولكنه بحمد الله تعالى بيد أهل الخير من المسلمين في بقية الاقطار كثير وقطعا لا يبخلون بشيء منه على هذه البلاد واصلاحها بتكثير المياه فيها وبناء مدارس لتعلم العلوم والحرف والصنائع لساكنيها حتى يحوزوا عظيم الاجر حيث ان ذلك من أهم المهمات وأعظم القربات وزيادة الخيرات والمبرات وفضل ذلك عظيم وأجره

جسيم والدرهم الواحد الذي يصرف في هذه البلدة يقوم بمئة الف درهم في غيرها وأفضل من تجب اعانتهم جيران بيت الله المعظم القاطنون بواد غير ذي زرع عند بيت الله الكريم وحجاج بيته القادمون اليه من كل فج عميق لاداء الفرض المعظم فساعدوا ساعدوا على اجراء الخيرات وتقربوا الى الله زلفى بفعل المبرات لمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقد تشكل مجلس مخصوص لهذا المهم الجليل من أهل العلم والامانة والديانة والغيرة والحمية أهالي ومجاورين في رقعة بطي هذا الكتاب مع تعليمات مجلسهم ليعلم منه تيقن حصول الامن التام ان شاء الله تعالى في صرف مايتحصل لهم في موضعه لاتتطرق اليه يد غاصبة أصلا فسأل الله سبحانه لنا ولكم حسن التوفيق الى احراز الفضيلة والمنزلة عنده من أقرب طريق انه على ذلك قدير و بالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد سيد الانام و بدر التمام ودمتم

(المنار) هذا هو المنشور الذي طبع وأرسل الى اصحاب الجرائد في الاقطار الاسلامية وقد زاد صديقنا رئيس اللجنة في النسخة التي أرسلها الينا بخطه الذي نعرفه ما يأتي:

دثم المرجو من عالي همتكم وعنايتكم بالأمور العامة القيام ببذل الجهد لدى العموم بالتشويقات في هذا العمل الخيري وجمع الاعانة وارسالها الينا أو الى يد وكيل هذا المجلس في أقرب محل لكم حيث ان للمجلس وكلاء في عدة من البلدان منها جده الوكيل بها حضرة الحاج زنيل عبد الله علي رضا وعدن الوكيل بها محمد افندي بن حسن علي وسنبين اسماء الوكلاء أيضا وننشرها في الجرائد حتى مصر والشام وقد كتبنا الى مصر عدة كتب وبالخصوص الخديوي المعظم وصار إرسال كتاب الخديو من طرف الولاية الجليلة وتصدق عليه من مقامها وكذلك كتبنا عدة كتب الى الجهات خصوصا الهند وجاوا وبخارى وقازان و بلدان العرب وأرسلت المقالة الطويلة المعنونة بعنوان (أهل الحجاز يستصرخون) وساعدنا في التحارير جملة من المعربين وغيرهم المقيمين هنا وحيث ان بمجلتكم الغراء لها الشيوع في جهات كثيرة فعسى أن تتفضلوا دواما بتحريض المسلمين على المساعدة في هذه الاعمال وتذكروا أمر الحجاز واحتياجه للماء والتعليم وتحسنوا لمن فيه الهمة والمقدرة على المساعدة ماديا ومعنويا بنبل ذلك وتفيدونا بالارشاد الى ماينفع فاننا مقرون بالعجز

وعندنا القابلية لتعلم و بذلك تنالون عظيم الاجر والثواب ودمتم

١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ رئيس القومسيون

(الختم)

(المنار) قد شاع وذاع على الالسنة وفي الجرائد ان الماء قد قل في حرم الله عز وجل حتى بلغ ثمن القربة الصغيرة من الماء عدة قروش وكاد الفقراء يموتون عطشا ومن المسائل المعروفة في الشريعة انه يجب عند الضرورة بذل الماء وكذا الطعام لكل إنسان محترم ولكل حيوان محترم (غير مهدور الدم) وجوبا شرعيا سواء كان الانسان مؤمنا او كافرا وسواء كان الحيوان طاهرا أم نجسا . فماذا تقول في جيران بيت الله وعمار حرمه وحجاجه المقيمين لشعائره وحقوقهم آكد و برهم أفضل ومساعدتهم اكبر أجرا وإعانتهم احسن ذخرا

ان المنار يذكر اللجنة ودولة الشريف أمير مكة بالمال الكثير المتجمع من أوقاف الحرمين بمصر ولا أدري هل كتب الى الخديو بطلب المساعدة أم بطلب هذا المال . ثم ندعو كل من علم بما ذكر لبذل ما تجود به نفسه مما انعم الله عليه لإغاثة حرم الله ومن يعمره ويحجه وان ادارة المنار تقبل ما يرسل اليها من المساعدات وتعطي به وصلا مطبوعا وتنشر اسم المرسل الا ان ينهاها عن التصريح به فتكني عنه وتتكفل ارسال ذلك الى اللجنة في مكة المكرمة زادها الله تكريما وورخاء — وهي لجنة مؤلفة من خيار وعلماء مسلمي الاقطار المجاورين لبيت الله فهي موثوق بها و بهذا نكتفي عن ذكر اسمائهم . وقد علمتم أيها المسلمون ان سلفكم قد وقفوا على الحرمين عقارا كثيرا فلا تكونوا أقل منهم غيرة وعملا للخير (٦٤ : ١٦ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك المفلحون ١٧ إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم

الاخبار والآراء

(خلع السلطان عبد الحميد وتولية مولانا السلطان محمد الخامس)

قد ابتهج جميع العثمانيين بخلع عبد الحميد وتولية هذا السلطان الدستوري

المهذب الاخلاق ما عدا اعوان الأول على نهب البلاد . ولما بشرنا البرق بذلك اجتمع جمهور من العثمانيين في بعض السمار ودعوا صاحب هذه المجلة الخطابة فخطب فيهم مصدرا خطبته بقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك » الآية. وبين ان مشيئة الله في نزع الملك وإيتائه منفذة لسننه الاجتماعية في ذلك ومنها ان إرادة الأمة إذا اجتمعت لا يعارضها شيء لأن يد الله على الجماعة كما ورد في الحديث . وبينا ان جمهور الأمة كان يظن أو يعتقد ان عبد الحميد أعطى الدستور مختاراً وانه كان يدعي مخلص له محافظ عليه فلما ظهرت الفتنة الأخيرة وعلم انه المدبر لها لإسقاط الدستور اجتمع رأي السواد الأعظم من الامة على خلعه ولا راد لرأي السواد الأعظم إذا اجتمع

ثم احتفل العثمانيون في حديقة الأزبكية بذلك فخطبنا أيضاً في الموضوع فذكرنا الحاضرين بخطابتنا هنالك يوم أعلن الدستور وكيف كان جمهور من المصريين يصيحون في وجهنا بالدعاء لعبد الحميد الخ (راجع ٤٦٦ م ١١) وكيف حصحص الحق وظهر صدق قولنا . واطلنا في بيان سلطة الأمة وسيئات الحكم الحميدي وانطباق الدستور على الشرع . فرأينا من استحسان الناس لهذا الخطاب واطرائنا به مالم نراه نظيرا

هذا وان كل ما بلغنا من أقوال مولانا محمد الخامس وتصرفه وتواضعه واقتصاده يبشرنا بأنه سيكون خير سلطان جلس على سرير آل عثمان ، حقق الله ذلك

* * *

﴿ الدولة العلية الدستورية والدين. ورأي غير العثمانيين من المسلمين ﴾

يرى القارئ في باب المناظرة من هذا الجزء رأي جريدتين من جرائد مسلمي الهند في الحكومة الدستورية وحكم عبد الحميد الاستبدادي مع الرد عليهما . وقد اجتمعنا في هذا الشهر بالأمير الافغاني (نواب بهادر صاحب خان عبد القيوم) من كبار رجال الحكومة الخارجية في (بيشاور) على حدود الهند من جهة الافغان وقد سألنا عن حال الدولة الحاضرة فبينا له الحقائق فاخبرنا ان أهل الهند والافغان يجهلونها وان الشائع في تلك البلاد بين المسلمين أن حزب تركيا الفتاة يريد ابطال الحكومة الاسلامية من الدولة وان يجعلها حكومة ادارية ليس لها صبغة دينية وانهم يحسنون الظن بعبد الحميد ويسيئونه في جمعية الاتحاد والترقي وقال بعد ان بينا له

الحقائق انه يحسن او يجب ان يذهب وفد من الآستانة الى الهند يطوف فيها و يظهر الحقيقة لأهلها وقد سافرهو الى الآستانة ليختبر الحال بنفسه . فلتعتبر الجمية ولتفكر كثيراً

ولا شك ان جهل جرائد مسلمي الهند للحقائق وتشيع اصحابها لعبد الحميد هو الذي احدث هذا الضرر الفادح أو قواه اذا صح مايرتأيه بعضهم من كون الانكليز هم الذين يشيعون هذه الإشاعات ليوهموا المسلمين انه لم يبق في الارض حكومة إسلامية . إن أصحاب الجرائد المصرية الذين يشنعون على الحكومة الدستورية الجديدة يعدون المسلمين في هذا الغي و يخدمون الاجانب الحاكمين على الملايين من المسلمين خدمة عظيمة وهكذا يجد الاجانب من المسلمين الجاهلين أو المستأجرين من يخدم سياستهم و يخذل المسلمين

* * *

﴿ الاحكام العرفية في الآستانة ﴾

اعلن القائد محمود شوكت باشا الأحكام العرفية في الآستانة لتطهيرها من أعوان عبد الحميد على إعادة الاستبداد فأوجس الناس خيفة من ذلك . وعندي ان فائدة هذه الاحكام لا تقل عن فائدة خلع عبد الحميد وأسره وتنبيه فان الطفور من أسفل درك الاستبداد الى أية درجة من درجات الدستور من المحالات الاجتماعية وان كان من الممكنات النظرية والقولية ولذلك عجزت الحكومة في العاصمة وفي الولايات عن ان تخطو خطوة واحدة في طريق الحكم الدستوري حتى صار الناس يلهجون في كل مكان بقولهم ان سير الحكومة لم يتغير واننا لم نستفد من الدستور شيئاً . وان لكاتب هذه السطور في ذلك كلمات صارت تؤثرعنه في الديار السورية منها « ان الحكومة الاستبدادية سقطت والحكومة الدستورية ما تكوّنت » ومنها « اننا أحوج الآن إلى حكومة عرفية منا إلى حكومة دستورية » وقد قلت لناظم باشا إذ لقيته في بيروت أول مقدمي اليها في آخر شعبان من السنة الماضية : ان الحكومة والأمة في حاجة شديدة إلى رؤساء محنكين قادرين ينفذون فيها الدستور بشيء من الاستبداد الباطن ، المطبق على القانون في الظاهر ، يكونون كمن يربي الطفل لكن على الاستقلال ، لا على التقليد والاتكال ، (قلت) وأرجو ان تكون انت منهم لمالك من التجربة والاختبار

كان من سبب عجز الحكومة عن تنفيذ الدستور الخوف من سخط الأهالي عليها إذا عاملتهم بما لم يتعودوه وكان خوفها من الموظفين أشد فقد كان من سياسة عبد الحميد أن يحشر في كل دائرة من دوائر الحكومة أضعاف من يحتاج اليهم العمل فيها ورأت الحكومة الدستورية أنها مستغنية عن كثير من هؤلاء ولكنها لم تتجرأ على إخراجهم لئلا يكثر سواد الناقين منها والساخطين عليها حتى قيل ان موسيو لوران الفرنسي الذي جيء به لإصلاح خلل نظارة المالية قال ان أهم مبادي الاصلاح إخراج الجم الغفير من هؤلاء الموظفين الذي لا عمل لهم . فلم يجبه كامل باشا إلى ذلك ، وفي هــذه الفرصة فرصة الاحكام العرفية يمكن تنفيذ ذلك وغيره وتكوين حكومة دستورية محترمة فتكون حلقة لاتصال بين الماضي والحاضر

• • •

﴿ الشريف امير مكة المكرمة والاصلاح ﴾

جاءنا من أنباء الحجاز ان أميره الشريف يبذل قصارى جهده في الاصلاح وعمران الولاية وحفظ الأمن العام فيها وقد وفق الى تأمين البلاد بدرجة لم يعهدلها نظير في السنين المظلمة الماضية وقد وجه همته الى نشر العلم وتأليف أعراب البادية وتأمين سكة الحديد الحجازية . وآخر ما جاءنا من أخباره في ذلك انه اخذ العهد والميثاق على مشايخ حرب ان يقوموا بحراسة الخط الحديدي بدلا من تخريبه وهو قد كفل لهم ان تعوض الدولة عليهم ما فاتهم من الانتفاع بنقل الحجاج وتوفيهم أجورهم وكتب الى الاستانة بذلك فعسى أن تمضي الاستانة له عهده فان هذه الطريقة التي سلكها هي الطريقة المثلى لحفظ الخط وامتداد ظل الأمن ، وأما توهم مقاومة الأعراب بالقوة واستقلال الجند بحفظ الخط فهو من وسوسة الغرور ونزغات الشياطين التي تجعل حرم الله تعالى في خوف دائم ، وخلل ملازم ، فنسأل الله ان يوفق هذا الأمير الدستوري الى سائر ما تحتاج ليه البلاد المقدسة من الاصلاح ويوفق الدولة الى تأييده في ذلك

• • •

(الامير محمد أرسلان نجل الامير مصطفى الشهير)

قتلت الفئة الباغية على الدستور هــذا الامير وكان مبعوث اللاذقية فاهتزت لموته سورية ولبنان ، ورثاه فيهما كل ذي قلم ولسان ، ونحن نشاركهم في ذلك ونعزي الوطن بتعزية والده عنه